الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة يحي فارس المدية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة ولأدب العربي

دلالة الزمان والمكان في رواية أنا قبل كل شيء لجوهرة الرمال

التخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد :

رحمة محامي

إشراف الأستاذة :

عائشة العشمي

السنة الجامعية :2022/2021

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

لا يسعني إلا أن أتقدم بشكري واحترامي للأساتذة الكرام اللذين حملوا شعلة العلم التي أنارت عقولنا و أكسبتنا قيما فكرية عظيمة ساعدتنا في طريقنا العلمي وبالتحديد الأستاذة الفاضلة المشرفة على عملي هذا أسأل الله تعالى أن يمدها بطول العمر لتظل على عهدها وإخلاصها في عملها النبيل، معطيتا من خزائن العلم للأجيال القادمة.



إهـــداء

لا يسعني إلا أن أحمد الله سبحانه وتعالى الذي بفضله تتم الصالحات و الصلاة والسلام على نبيينا محمد صلاة دائمة الأباد والصلاة والسلام باقية الى يوم الميعاد ،وعلى آله وصحبه أجمعين .

أولا وقبل كل شيء أتقدم بالشكر الجزيل الى الأستاذة المشرفة على مذكرتي هذه **(العشمي عائشة)** التي كانت سندا وعونا لي في كل خطوة من خلال ارشادها و توجيهها ومساعدتها الجبارة لي ،كما أتوجه بالشكر الجزيل الى الأساتذة الكرام الذين قدموا لي ولو حرف واحد من السنة أولى ليسانس إلى السنة الثانية ماستر وإلى جميع أساتذة كلية الأداب واللغات بجامعة الدكتور يحي فارس .

-إلى من كلله الله بالهيبة الوقار إلى

من علمني العطاء دون انتظار إلى من أحمل أسفه دون افتخار،أرجو من الله أن يمد في عمرك لترى ثمار قد حان قطفها بعد طول انتظار ،وتبقى كلماتك أهتدي بها اليوم وفي الغد و إلى الأبد **(ابي العزيز)**

-إلى ملاكي في الحياة إلى معنى الحب و الحنان والتفاني إلى بسمة الحياة وسر الوجود ،إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي ،إلى أغلى الحبايب **(امي الحبيبة).**

- إلى من رافقوني منذ أن حملنا حقائب صغيرة ،ومعهم سرت درب الحياة خطوة بخطوة ومازالوا حتى اليوم ،إلى شمعة متقدمة تنير ظلمة حياتي فمعكم أكون أنا و بدونكم أكون مثل أي شيء ،إلى من أرى التفاؤل بعينكم و السعادة في ضحككم إلى إخوتي : **نادية ،فدوى، مريم ،إسلام .**

-إلى أجدادي والدا أبي و والدا أمي أطال الله في عمرهما وأكسبهما من الصحة نصيبا ، فهم اليد التي أستقيم بها عند ضعفي و بدعائهم عند إنحنائي .

-إلى من طرق باب بيت أبي وقررت إكمال درب حياتي معه إلى خطيبي **(محمد)** وعائلته **(بريشي).**

إلى من تحلو بالحياء والعطاء إلى ينابيع الصدق الصافي ، إلى من معهم سعدت في دروب الحياة ،إلى كل من دعمني ولو بكلمة صغيرة ودعاء صادق ،إلى من شجعني حتى وصلت ما وصلت إليه الأن ،إلى كل عائلة الأب **(محامي)** ،وعائلة الأم **(تهاني)** إلى كل الأساتذة في العمل وكل صغير وكبير في العائلة أو خارجها لم أذكر اسمه إلى جميع الأصدقاء الذين يعرفونني بالأخص : نادية نسيمة ليليا جنة .شكرا ومئة الف شكر لكم جميعا .

مقدمـــة

أصبحت الرواية من أهم الاجناس الأدبية التي طغت على المشهد الثقافي ومن الفنون الأدبية التي لقيت رواجا كبيرا فكانت الملاذ الذي يلوذ اليه الشخص للتعبير عما يلوج في داخله بحيث تعتبر حيز التجارب الإنسانية، فهي تحمل المرتبة الأولى في الأدب بفضل تنوع آلياتها السردية وذلك بارتباطها بالواقع كما فتحت بابا للتجارب الأدبية مما دفعها للتطور أكثر فبعض الروايات تصور أشخاصا وحوادث من واقع الحياة فالرواية بنية معقدة تقوم على عدة عناصر متكاملة من شخصيات وسرد وصف وزمان ومكان ولكن كل عنصر من هؤلاء العناصر أهمية بالغة يستحيل الاستغناء عنها ،فعنصرا الزمان والمكان يتمثلان في جل الفنون الأدبية بقواعدهما وتقنياتهما،ولقد اخترت رواية **أنا قبل كل شيء لجوهرة الرمال** حاولت فيها الكشف عن مدى قدرة الرواية على احتواء تقنيات الزمان والمكان .

ومن دوافع اختياري لهذا الموضوع هو ميلي نحوى الدراسات السردية بصفة عامة وبنية الزمان والمكان بصفة خاصة، ورواية أنا قبل كل شيء هي رواية زمانية مكانية بشكل كبير فقد كانت هذه الرواية مجالا خصبا ب النسبة لي كي أستثمر من خلالها وتكون محور دراستي ،فقد جاءت الإشكاليات التي يطرحها هذا البحث متماشية مع الموضوع، ومن أبرز الإشكاليات التي سأحاول الإجابة عنها هي:

ما المقصود بالزمان والمكان ؟ ماهي أنواعه؟ أين تكمن تجليات كل من الزمان والمكان في رواية أنا قبل كل شيء ؟ما أهمية كل من الزمان والمكان وما هي العلاقة بينهما ؟.

وللإجابة على هذه التساؤلات قمت بتقسيم بحثي على المنوال التالي :مقدمة وفصلين وخاتمة وملحق .

حيث جاءت المقدمة كعرض لإشكالية البحث وكان الفصل الأول المعنون ب: ماهية الزمان والمكان وقد قسمته إلى:

أولا مفهوم الزمان والمكان ثانيا أنواع الزمان والمكان ثالثا أهمية الزمان والمكان .

أما الفصل الثاني المعنون ب :دلالة الزمان وتجليات المكان في رواية أنا قبل كل شيء وقد قسمته الى مبحث أول يشمل أنواع الأزمنة المتمثلة في الإستباقات والإسترجاعات أما المبحث الثاني فيتمثل في أنواع الأماكن الأماكن المغلقة والأماكن المفتوحة وخاتمة عبارة عن استنتاج أو نتيجة للبحث وملحق يتضمن ملخص الرواية ولمحة عن الرواية وراويها .

أما بالنسبة للمنهج الذي اتبعته هو البنيوي (الوصفي)هو الذي يتلائم وطبيعة الموضوع كما اعتمدت على جملة من المصادر والمراجع في هذا البحث .

وقد واجهت عدة صعوبات في انجاز هذا البحث من بين هذه الصعوبات :قلة المصادر والمراجع في مكتبة الكلية انجاز البحث بمفردي وارتباطي بالعمل مما صعب عليا اللقاء مع الأستاذة المشرفة .

وفي الأخير إن عملي هذا يضل مجرد محاولة بحثية بسيطة أتمنى أن يكون قد أسهم لو بالقليل في فتح باب دراسات أخرى مستقبلية تكون أكثر عمقا .

الفصل الأول :

ماهية الزمان و المكان

المبحث الأول : مفهوم الزمان وأنواعه

أولا :مفهوم الزمان (لغة واصطلاحا)

ثانيا:أهمية الزمان

ثالثا :أنواع الزمان (الاستباقات والاسترجاعات)

المبحث الثاني :مفهوم المكان وأنواعه

أولا :مفهوم المكان (لغة و اصطلاحا)

ثانيا :أهمية المكان

ثالثا:أنواع المكان

المبحث الأول: مفهوم الزمان وأنواعه:

أولا :مفهوم الزمان (لغة واصطلاحا) :لقد أدى اهتمام الفلاسفة وغيرهم من الأدباء والعلماء بمسألة الزمن والسعي وراء تقصي ماهيته ووضع مفاهيم له وأطر مختلفة دلالة على اختلاف حقولهم الفكرية التي تتبناه .

أ لغة : لقد اهتمت كتب التراث اهتماما كبيرا بمصطلح الزمن، نظرا لتداوله في جميع المجالات سواء باللفظ أو المعنى أو المفردات ، وأول ما يطالعنا باستخدام هذا اللفظ ابن منظور في لسانه حيث ذكره في قوله :"زمن :الزمن والزمان : اسم لقليل الوقت وكثيره المحكم، الزمن والزمان العصر والجمع أزمن الشيء طال عليه الزمان والاسم من ذلك الزمن الزمنة على ابن أعرابي وأزمن بالمكان أقام به زمانا وعامله والزمان واحد قال ابن الهيثم :"اخطأ شمر، الزمان زمان الرطب والفاكهة،وزمان الحر والبرد قال :ويكون الزمان شهرين الى ستة اشهر "[1].ثم يذكر الاختلاف الحاصل في الاستعمال العربي اللفظي للزمن والدهر حيث يوظف قول أبي منصور بصيغته الأتية "الدهر عند العرب يقع عليه وقت الزمان من الأزمنة على مدة الدنيا كلها والزمان يقع علة فصل من فصول السنة وعلى مدة ولاية الرجل "[2].

من هذين التعريفين ل ابن منظور نجد أن الزمان عنده مرتبط بزمن الفاكهة والرطب والحر والبرد أي بالفصول وكذلك بزمن حكم الرجل

"كما نجد أن الزمن عند العرب ارتبط بالمناخ والطقس الطبيعيين ، فكانوا يقولون زمن الحر وزمن البرد إشارة الى فصلي الصيف والشتاء .

كما نلقى الأزمنة مرتبطة بالشخصيات العظيمة، أو المؤثرة في حياتهم سواء أكانت سياسية أو غيرها، فيقولون زمن الخليفة أبي بكر ، وزمن معاوية، وهكذا .

---

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر بيروت، الطبعة الرابعة، 2005، ص60.

[2] المرجع نفسه، ص 60 .

كما استمدت بعض المقاييس الزمنية من البيئة المناخية المحلية كالشهور،فمثلا (شهرا جمادى سيما يذلك لجمود الماء فيهما لشدة البرد، ورمضان مشتق من الرمضاء بمعنى شدة الحر، ومحرم لتحريمهم القتال فيه، وصفر لأن ديارهم تصفر أي تخلوا من أهلها لخروجهم للقتال بعد محرم "[1].

ومن خلال هذه التعاريف نجد أن للزمان عدة تعاريف تختلف من كتاب إلى آخر كما نجد أن الخليل قد أعطاها تعريفا في معجمه العين يقول :"الزمن من الزمان والزمن ذو الزمانة والفعل زمن يزمن زمنا وزمانة والجمع الزمني في الذكر والأنثى وأزمن الشيء طال عليه الزمان "[2].

يقصد الخليل هنا بأن الزمن هو الجمع للجنسين أي الذكر والأنثى ومن طال عليهم الزمان، أي تعاقبت عليه الأزمنة .

أما عند الزبيدي فقد حاول أن يضبط الزمن بمقيمات محدد يبدأ من شهرين الى ستة أشهر في حين كان يرى أن الدهر غير محدد بوقت معين تماما مثلما ذهب إليه ابن منظور وقد ضبط هذا الرأي في قوله :"الدهر لا ينقطع أبدا في حين يكون الزمان من شهرين على ستة أشهر "[3].

من هنا نلاحظ أن الدارسين قد أولو عناية خاصة بالزمن والاهتمام بمصطلحاته ما جعل بعضهم يعنون مؤلفاتهم الدالة عليه كالأيام والليالي والشهور، وهكذا نلحظ الفرق الجوهري بين معنى الزمن الذي يحيل إلى إمكانية التحديد سواء أكان ذلك بمقياس

---

[1] باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي ، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى 2007، ص 58 .

[2] الخليل ابن أحمد الفراهيدي، كتاب العين مراجعة دكتور داود سليمان، مكتبة لبنان بيروت الطبعة الأولى ، 2004، ص399.

[3] الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، ترجمة عبد الكريم الغرباوي، مطبعة الكويت دون طبعة،1972،.ص 23.

زمني معين، كاليوم، الأسبوع، الشهر، الفصل، والسنة، والعقد أو مرحلة معينة طبعت بطابع خاص، ومعنى الدهر الذي لا أول له ولا آخر له وقد جاء في قوله تعالى :

[هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيء مذكورا]. [1]

كما ارتبط الزمن عند العرب كذلك بالمناخ والطقس الطبيعيين فكانوا يقولون زمن الحر وزمن البرد وإشارة إلى فصلين الصيف والشتاء.

ب اصطلاحا : للزمن عدة مفاهيم كثيرة ومتنوعة ومتداولة عند الدارسين والباحثين وتبدو هذه المفاهيم المتداولة الناجمة عن معضلة الزمن التي تظهر عصية عن الادراك والتطور.

الزمن مجموعة العلاقات الزمنية السرعة الترتيب الزمني، المسافة القائمة بين المواقف والأحداث المروية وسردها بين القصة والخطاب المروي والسرد وفي الشكل يشير إلى التميز الزمني، لقد جادل علماء النفس مرارا وتكرارا وداسوا الرواية التخليلية والأدب "بوهلر، بنيفتش، فاينرتش، بأن بإمكان تجميع الأزمنة تحت مقولتين رئيسيتين الأزمنة المتعلقة بنفس المعطيات من نوع أنا وهنا والأن والأزمنة المتعلقة بمقام التلفظ وأزمنة لا تتعلق بمقام التلفظ في الماضي دون أن ترتبط بالزمن الحاضر"[2].

فلزمن عدة تعريفات تختلف في الاصطلاح من كتاب إلى آخر حيث نجد تعريف آخر له " هو الفترة أو الفترات التي تقع فيها المواقف والأحداث المقدمة فنجد زمن القصة، زمن المروى، والفترات أو الفترة التي يستغرقها عرض هذه المواقف والأحداث زمن الخطاب وزمن السرد "[3].

---

[1] القرآن الكريم، سورة الإنسان، الآية 1.

[2] جيرالد برنس، قاموس السرديات، ترجمة السيد إمام، شارع قطر النيل، الطبعة الأولى، 2003 ص 198.

[3] جيرالد برنس، قاموس السرديات، ترجمة السيد إمام، ص 201.

كما نجد أن سعيد يقطين قد أعطى له تعريفا في كتابه تحليل الخطاب الروائي يقول فيه :"إن مقولة الزمن متعددة المجالات ويعطيها كل مجال دلالة خاصة ويتناولها بأدواته التي يصوغها في حقله الفكري "[1].

ويبقى للزمن خاصية يتميز بها في العمل الروائي يعنى بها كل الدارسين والنقاد بالنظر إلى الزمن كعنصر محوري تدور في ضمنه الأعمال الروائية، حيث نجد أن بعض النقاد ذهبوا إلى أن لا يمكن فهم العمل الروائي إلا في إطار تنظيم الزمن .

كما نجد أن جيرار جينت قد اهتم بعنصر الزمن حيث يعتبر رائد الدراسات السردية حيث أوجد للزمن جملة من التقنيات المحددة والمضبوطة للدراسة في العمل الأدبي وهذا ما سندرجه في الفصل التطبيقي الاسترجاع والاستباق .

ج مفهوم الزمن في الفلسفة : لقد اكتسى مفهوم الزمن مع تقدم التاريخ طابع العمق في المدلول تبعا لرقي الفكر الإنساني وعمق وعييه بالأشياء الموجودة،ونظرته المتجاوزة لما هو مألوف وشائع تناسبا مع الوسائل وطرق التعامل مع مظاهر الكون والمفاهيم الموجودة المجردة .

ولعل من الفلاسفة اللذين أرقهم الزمن كمعيار وجودي أرسطو الذي تصوه متصلا في الفعل وفي الحركة، لأن الحركة والزمان لا بداية لهما ولا نهاية، اما أفلاطون فيرى الزمان محصلة للماضي والحاضر والمستقبل وتتابع هذه الحالات بصفة مستمرة ومتحركة،ويضع هذا في مقابل مفهوم الدهر بمعنى الأزلة الأبدية لموجود لا يتحرك أما فلاسفة الغرب المعاصرين فنلقى من بينهم برغسون قد جعل الذات الإنسانية جوهر الإحساس الحقيقي بالزمن مؤثرا استخدام مصطلح الديمومة كمفهوم أما هيدجر فيعتقد أن التزامن وقف على الانسان، ولا وجود له بمعزل عن البشر فالوجود هو

[1] سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء بيروت، الطبعة الثالثة ، 1997، ص 61.

الزمان كما أن الانسان وحده هو المزود بحاسة الزمان ومن ثم فان الانسان هو وحده الذي يضفي صفة الوجود "[1].

من خلال هذه الرأي للفلاسفة الغرب بالنسبة للزمن نجد أن لكل ناقد وجهة نظر لمفهوم الزمن وكل فيلسوف يختلف عن الآخر بالنسبة للتعريف .

أما بالنسبة للفلاسفة المسلمون فقد جمع الزمن في تصورهم بين البعد الميتافيزيقي المجرد، والبعد العملي للحياة اليومية في تعاملها مع الزمن مستمدين تصورهم من تمثيل المعاني من القران الكريم في ضبط علاقة المؤمن بالزمن.

" الكندي يرى بضرورة ارتباط الزمن بالحركة، ولا معنى للزمن إلا من خلال الحركة يقول :" مدة تعدها الحركة ،فإن كانت حركة كان زمان،وإن لم تكن حركة لم يكن زمان " أما الفخر الرازي فيرى الزمان وفق معنيين أحدهما موجود خارج الذهن يطابق الحركة في كونها مبدأ ونهاية، وثانيهما متوهم لا وجود له في الخارج والموجود في الخارج هو الآن "[2].

كما نجد هنا أن الفلاسفة المسلمون يختلفون في إعطاء تعريف للزمن فنجده يختلف من فيلسوف إلى آخر فلكل واحد منهم تعريف و رأي لكن كلها تصب في مجرى واحد مع اختلاف طفيف في التعليل وتشريح المفهوم كظاهرة وجودية ترتبط بواقع خارجي معين تحكمه ظروف خاصة، فالزمن عندهم لا يصير زمنا في أي معنى من المعاني إلى إذا اقترنت حالته بالحركة سواء اكانت حركة مادية أو نفسية .

ثانيا : أنواع الزمن : يعد الزمان من العناصر الأساسية في بناء العمل السردي والذي يؤدي دور كبير في الرواية، ويمثل مجموعة من الأزمنة المتداخلة والمتشابكة

[1] باديس فوغالي، المكان والزمان في الشعر الجاهلي، ص60.

[2] المرجع نفسه، ص61 .

الذي يتفق النقاد حول وجود الزمن في النص الروائي حيث نجد عبد المالك مرتاض يقد أنواع مختلفة للزمان هي :

1: الزمن المتواصل : يمضي متواصلا دون امكان افلاته من سلطان التوقف ودون استحالة قبول الالتقاء والاستبدال بما سبق من الزمن، وبما يلحق منه في التصور والفعل، ويمكن أن نطلق على هذا الضرب من الزمن الزمن: الكوني**2الزمن المتعاقب** : وهذا الزمن دائري لا طولي، ولعله أن يدور حول نفسه وهو تعاقبي في حركته المتكررة لأن بعضة يعود على بعضه الأخر في الحركة كأنها تتقطع ولا نتقطع مثل زمن الفصول الأربعة .

3:الزمن المتقطع :هو الزمن الذي يتمخض لحدث معين، حتى إذا انتهى الى غايته انقطع مثل الزمن المتمخض لإعمار الناس، ومدد الدول الحاكمة وفترات الفتن المضطربة

4:الزمن الغائب : وهو المتصل بأطوار الناس حين ينامون وحين يقعون في غيبوبة وقبل أن يكون الوعي بالزمن (الجنين ، الرضيع) والصبي أيضا قبل ادراك السن التي تتيح له تحديد العلاقة الزمنية بين الماضي والمستقبل خصوصا .

5: الزمن الذاتي :هو الزمن الذي يمكن أن نطلق عليه الزمن النفسي فالمدة الزمنية من حيث هي كينونة زمنية موضوعية لا تساوي إلا نفسها، ولكن الذات هي التي تحولت العادي الى غير عادي والقصير الى الطويل كما تعتمد هذه الذاتنفسها الى تحويل الزمن الطويل الى القصير في لحظات السعادة وفترات الانتصار "[1].

[1] محمد تحريشي، في الرواية والقصة والمسرح، قراءة في المكونات الفنية والجمالية والسردية دحلب عاصمة الثقافة العربية، دون طبعة، دون تاريخ، ص39.

كما نجد الكثير من النقاد قد قدموا الكثير للزمن من بينهم عبد المالك مرتاض الذي قال في كتابه نظرية الرواية أن النقاد المعاصرين يعتقدون في وجود ثلاثة أضرب من الزمن ترتبط بزمن السرد ارتباطا وثيقا هي :

" زمن الحكاية أو زمن المحكي متعلق بالأحداث وهي 1 زمنية تتمخض للعالم الروائي المنشأ

2 زمن الكتابة ويتصل به زمن السرد مثل سرد حكاية شعبية ما

3 زمن القراءة وهو الزمن الذي يصاحب القارئ وهو يقرأ العمل السردي "[1].

كما نجد أن للزمن نوعان مهمان يتمثل في :

_1الزمن الطبيعي : وهو الزمن الذي يخضع لمقاييس موضوعية ومعايير خارجية تقاس بالسنة والشهور واليوم والصباح والظهيرة والمساء والليل والنهار إلا أن هذه المقاييس يقاس بها الزمن الطبيعي الخارجي على الرغم من أنه يحمل أسماه فالساعة في النص الروائي غير الساعة في العالم الحقيقي الخارجي وما يجري في روائي مثلا لا يشترط جريانه في يوم معاش من الأيام الواقع الخارجي، وعليه فزمن السرد هو غير زمن الأحداث الحقيقية، فهو أولا زمن جمالي وثانيا زمن عاطفي .

_2الزمن الداخلي : ويختلف هذا الزمن اختلافا جوهريا عن الزمن الطبيعي فهو لا يخضع لمعايير خارجية أو مقاييس موضوعية كالتوقيت المتداولة ، وانما يمكن معرفة وتحديد سرعة أو بطئ من خلال اللغة التي تعبر عن الحياة الداخلية الشخصية حزينة ولا يشعر بمرور الزمن حين تكون سعيدة فحركة السرد في سرعتها أو في بطئها في مثل هذا النوع وإنما تتحكم فيها الاحاسيس الشخصية أي أن البعد الزمني يرتبط هنا بالشخصية لا بالزمن من حيث الذات التي تأخذ محل الصدارة

[1] محمد تحريشي، في الرواية والقصة والمسرح، ص42.

ويفقد الزمن معناه الموضوعي ويصبح منسوجا في خيوط الحياة النفسية للشخصية "[1].وأخيرا نستنتج أن للزمن عدة أنواع تختلف من نص روائي إلى أخر أي باختلاف توظيفها في الرواية .

يعد الزمن من أهم بنيات النص السردي، ويشد إليه كل عناصر البنية الأخرى بقدرته على التمركز وفق رؤية الكاتب المستمدة من طروحات نظرية تنهل من خصوصية الخطاب السردي الذي جعل الزمن إحدى لبنات فن الرواية، مما دعا إلى ضرورة الوقوف عنده بالنسبة للدراسة والتحليل والقراءة والتأويل، تعرض لنا سيزا قاسم أهمية أسباب الوقوف عند الزمن في النص الروائي فيما يلي :

"لأن الزمن محوري وعليه تترتب عناصر التشويق والايقاع والاستمرار ثم أنه يحدد في الوقت نفسه دوافع أخرى محركة مثل التتابع والاختيار والأحداث .

لأن الزمن يحدد إلى حد بعيد طبيعة الرواية وشكلها، بل إن شكل الرواية ترتبط

ارتباطا وثيقا بمعالجة عنصر الزمن، ولكل مدرسة أدبية تقنياتها الخاصة وفي عرضها ولذلك فإن فن الرواية تطور على مستوى بسيط الى التتابع والتتالي إلى خلط المستويات الزمنية من ماض وحاضر ومستقبل خلطا تاما .

إنه ليس للزمن وجود مستقبل نستطيع أن نسترجيه من النص مثل الشخصية أو الأشياء التي تشغل المكان ومظاهر الطبيعة فالزمن يتخلل الرواية كلها ولا نستطيع أن ندرسه دراسة تجزيئية فهو الهيكل الذي تتشيد فوقه الرواية ".[2]

ومن الصعوبات في تحديد الزمن في النص السردي يمكن تقسيمه إلى مراحل مختلفة لتداخل الأحداث، والزمن أزمنة متشابكة فيما بينها والزمن مقطوع عن أزمنة يقول

[1] نبهان حسان السعدون، تشكيل المكان في الخطاب السردي، قراءات في السرديات العراقية المعاصرة، دار غيداء للنشر والتوزيع، طبعة الأولى، 2015، ص 15 .

[2] محمد تحريشي، في الرواية والقصة والمسرح، ص 59.

السارد :" أنت تعيش خارج إطار المكان، لا زمانك زمان ولا مكانك مكان، وجودك في ألا زمان وألا مكان وجودك وراء فيضة التاريخ الذي لك يكن على الرغم من كينونته غير الكائنة أو ألا كائنة في ألا كينونة أنت حقا لا تدري "[1].

يتبين هنا أن الشخص يعيش في زمان غير زمانه ومكان غير مكانه أي في كينونة غير كائنة.

فإذا كان التصور التقليدي يرى أن الزمن هو الشخصية الرئيسية في الرواية، ففي الرواية الجديدة يمكن القول أن الزمن يوجد مقطوعا عن زمنيه أي لا يجري لأن الفضاء هنا يحطم الزمن والزمن ينسق الفضاء اللحظي يذكر الاستمرار "[2].

فنجد الكثير من النقاد والروائيون المعاصرون يجدون ثلاثة أضرب من الزمن تلتبس بالحدث السردي وتلازمه ملازمة مطلقة تشمل زمن الكتابة وزمن الحكاية وزمن القراءة، حيث تبدو هذه المفاتيح مساعدة لقراءة الزمن في النص السردي لما تحدد بهذه الصيغة ولكن الصعوبة تكمن في أن مرتاض كان يعني هذه المفاهيم جيدا فالأزمنة تتداخل فيما بعضها لترسم لنا الزمن رسما جميلا يعطي لنا بعد لغوي.

1- بناء الزمن الروائي: يعد النص الروائي في منظور النص الحديث لعبة زمنية تقوم القائم بالفعل المطالب باحترام النظام وتسلسل المراحل التي تضمن للمتلقي التشويق حيث نجدها تخضع إلى صيغ ربط هي :

التسلسل هو تموضع المتتاليات الواحدة بعد الأخرى دون تداخل

التضمين و هو ورود متتاليات بكاملها داخل متتاليات أخرى

[1] أمحمد تحريشي، في الرواية والقصة والمسرح. ص 62.

[2] سعيد يقطين، تحليل الخطاب السردي، المركز الثقافي العربي؛ الطبعة الأولى، 1989 ص67.

التداخل هو دمج عدة متتاليات

الهيكل الزمني للنص الروائي يقوم على زمنين هما : أزمنة داخلية وخارجية .

"فإذا كان دور الزمن الخارجي يعد ثانويا في بناء نسيج النص فإن الزمن الداخلي الذي يشهد هيكل النص، يطرح بدوره ثنائية زمنية مضطربة حيث أن للقصة زمنين الأول زمن الحدث (زمن الرواية) والثاني زمن الأخبار(زمن الكتابة) ويرجع هذا التذبذب إلى بروز الشخصيات وهذا ما جعل الكاتب إلى الحذف والتقديم والتأخير مما يجعل هذه الأزمنة في نوع من الخلط في النتائج "[1].

"نظام الزمن أو المفارقات يرى جيرار جينت أنه حين بدأ مقطع سردي في رواية ما بإشارة كهذه (قبل ثلاثة أشهر) يجب أن ندرك أن هذا المقطع قد يأتي متأخرا في نقل الخبر ويجب أن يحل مقدما في الرواية لذا فإن للمفارقة الزمنية أسلوبان يسيران اتجاه خط الزمن أي سبق الأحداث، أما الثاني فإنه اتجاه معاكس أي حالة الرجوع إلى الوراء أي يخضع نظام المفارقة إلى اقتراض نقطة الانطلاق (نقطة الصفر) تمثل نقطة التقاء زمن اليرد بزمن الرواية وتسمى هذه النقطة (الافتتاحية) وهي نقطة وهمية أي أن الاستباق والاسترجاع ينطلق من هذه النقطة بالذات " [2].

ومن هنا نستنتج أن الاستباقات والاسترجاعات هي لبنة المفارقات الزمنية، وكل مفارقة تتسم بخاصية تقوم عليها وأن دراسة النظام الزمني تعني مقارنة ترتيب تقاطع الزمن بتقاطع نصي، الناتج عن ازدواجية تداخل الزمن .

[1]عمر عاشور، البنية السردية عند الطيب صالح، البنية الزمانية والمكانية في موسم الهجرة إلى الشمال، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2010 ،ص15.

[2]المرجع نفسه، ص17.

أ الاسترجاع : لقد أعطي له عدة تعريفات من بينها " هو عملية سردية تعمل على إيراد حدث سابق للنقطة الزمنية التي يلغيها السرد وتسمى كذلك هذه العملية بالاستذكار " [1].

كما نجد له تعريفا آخر وهو " مخالفة لسير السرد تقوم على عودة الراوي إلى الحدث السابق، وهو عكس الاستباق حيث تولد هذه المخالفة نوعا من الحكاية الثانوية ولا شيء يمنع أن تتضمن الحكاية الثانوية استرجاع ويمكن أن يكون استرجاع موضوعيا أو ذاتيا أما وظيفته غالبا ما تكون تفسيرية تسلط الضوء على ما فات أو غمض من الحياة الشخصية في الماضي وهو أنواع داخلي وخارجي ومختلط وجزئي وتام ".[2]. فالاسترجاع من هنا هو سرد لأحداث سابقة أي عودة القاص إلى حدث مضى فهو يسلط الضوء على حياة شخصية ما في الماضي كما نجد أن له أنواع كثيرة منها :

1 الاسترجاع الخارجي : وهو "الذي يستعيد أحداثا تعود إلى ما قبل بداية الحكاية ".[3]

أي يشمل كل حدث وقع قبل بداية القص وهو يعود إلى ما وراء الافتتاحية وبالتالي لا يتقاطع مع السرد الاولي الذي يتموقع بعد الافتتاحية لذلك نجده يسير على خط زمني مستقل وخاص به ومنه فهو يحمل وظيفة تفسيرية لا بنائية .

2 الاسترجاع الداخلي : وهو الذي يلتزم خط زمن السرد الأول وينقسم إلى استرجاع داخلي متباين حكائيا وهو الذي يسير على زمن خط الحكي واسترجاع داخلي

[1] عمر عاشور،البنية السردية عند الطيب صالح ، ص18 .

[2] لطيف زيتوني ، معجم المصطلحات نقد الرواية ، مكتبة لبنان ،ناشرون بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، 2002، ص18.

[3] عمر عاشور، البنية السردية عند الطيب صالح، ص 19.

متجانس حكائيا وهو الذي يسير تماما على خط زمن السرد الأولى ".[1] كما نجد الدكتور لطيف زيتوني يعطيه تعريف آخر في كتابه معجم المصطلحات يقول :"هو الذي يستعيد أحداثا وقعت ضمن زمن الحكاية أي بعد بدايتها وهو الصيغة المضادة للاسترجاع الخارجي وهو أنواع الاسترجاع الداخلي غير المنتمي إلى الرواية يسميه البعض (براني الرواية) وهو الذي يشكل موضوعه جزءا من موضوع الحكاية والاسترجاع الداخلي المنتمي إلى الحكاية ويسميه البعض (جواني الرواية) وهو الذي يجانس موضوعه موضوع الحكاية وهو نوعان : التكميلي وهو الذي يسد نقصا حاصلا في السرد والمكرر وهو إشارات القصة الى ماضيها "[2].

3- الاسترجاع المزجي : 'وهو ضرب من الاسترجاع كون نقطة مداه قبلية وسعته بعيدة وذلك بالنسبة الى السرد الأولى وبالتالي فهو يجمع بين الاسترجاع الداخلي والخارجي "[3] نجد أنه هو الذي يسترجع حدثا بدا قبل بداية الحكاية واستمر ليصبح جزء منها .

4- لاسترجاع الجزئي : وهو نمط ينتهي بقطع دون الرجوع الى الحكي الأول

5- الاسترجاع التام : وهو الذي يعود ليصل بالحكي الأول دون فصل الاستمرارية بين مقطعي الرواية "[4].

أي هو الذي يتصل اخره ببداية الرواية من دون تقطع أي يقوم باسترجاع الجزء الساقط من الحكاية والذي يشكل جزءا مهما منها أو الجزء الأساسي.

وأخيرا فان الاسترجاع في الرواية يمثل المفارقة الزمنية باتجاه الماضي انطلاقا من لحظة الحاضر.

---

[1] عمر عاشور، البنية السردية عند الطيب صالح، ص19.

[2] لطيف زيتوني، معجم المصطلحات في نقد الرواية، ص20.

[3] عمر عاشور، البنية السردية عند الطيب صالح، ص19.

[4] المرجع نفسه، ص19.

ب الاستباق : اذا كانت الاسترجاعات تزودنا معلومات ماضية سواء حول الشخصية أم الحدث أم خط القصة، فان الاستباقات تظل أقل ترددا من الاسترجاعات ويجب التميز بين الاستباق بالمعنى الصارم لقول المستقبل قبل وقته والاستباق بمعنى التلميح لواقعة مستقبلية "[1].

فهو عملية سردية تتمثل في حدث آت أو الإشارة إليه في البداية أي سبق الأحداث فهو احدى تجليات المفارقة الزمنية فنجده يطرح نفس الإشكالية التي يطرحها الاسترجاع فنجده يختلف عنه في الوظائف .

فهو مخافة لسير زمن السرد تقوم على تجاوز حاضر الحكاية وذكر حدث لم يحن وقته بعد وهو شائع في النصوص المروية ولا سيما في كتب السير والرحلات "[2].

فاذا كانت الاسترجاعات المتمة تسعى الى سد ثغرات سابقة في زمنية النص الحكائي فان الاستباقات المتمة التي هي احدى تفرعات الاستباقات الداخلية المتجانسة حكائيا ترد من أجل نفس الوظيفة
مسبقا أو من أجل مضاعفة مقطوعة سردية آتية وتسمى هذه الحالة بالاستباقات المتكررة التي تؤدي دور أنباء، وهي تختلف عن الفواتح التي تلعب دور مؤشرات انطلاقا من أن الفاتحة خلافا للأنباء وهي في وسط النص ".[3].

فالاستباقات تشع في الروايات وخاصتا في السير الذاتية لأن السارد المؤهل لإدراك مسار الأحداث فهو من الحيل الفنية التي يعتمد عليها السارد لخلق حالة انتظار لدى المتلقي فهو لا يحمل أي ضمان بالوفاء فنجده ينقسم الى فاتحة واعلان والفرق بينهما يكمن في :"أن الفاتحة لا تحمل أي التزام بالثقة فهي مرشحة في الوقت نفسه

---

[1] أحمد حمد النعيمي، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 2004، ص36.

[2] لطيف زينوني، معجم المصطلحات نقد الرواية،ص15.

[3] عمر عاشور، البنية السردية عند الطيب صالح، ص20.

إلى التحقيق من عدمه بينما يشترط في الإعلان أن يخير الصراحة عن سلطة الأحداث التي سيشهدها السرد في وقت لاحق"[1].

وفي الأخير فان الاستباق من الحيل الفنية، وتقنية من التقنيات السردية التي لجأ إليها المبدع قصد كسر الترتيب الخطي الزمني وخلق من خلالها حالة انتظار لدى المتلقي فهو بمثابة توطئة للأحداث تجعل القارئ يتكهن بالمستقبل.

ثالثا أهمية الزمان : يمثل الزمن محورا_الرواية وعمودها الفقري الذي يشد اهتمام الدارسين والنقاد، كما هو محور الحياة ونسيجها والرواية فن الحياة لأن الزمان وسيط الرواية كما هو وسيط الحياة .

يؤكد موباستون أن النقلات الزمنية في النص الروائي من أهم التقنيات التي يستطيع الكاتب من خلال انتقائها والتحكم فيها أن يعطي للقارئ التوهم القاطع بالحقيقة، وقد أشار هنري أيضا على صعوبة تناول عنصر الزمن وأهميته في البناء الروائي ويرى أن الجانب الذي يستدعي أكبر قدرة من عناية الروائي الجانب الأكثر صعوبة وخطورة هو كيفية تجسيد الإحساس بالديمومة وبالزوال وبتراكم الزمن.

" كما يعد الزمن عنصر هاما من العناصر المكونة للبناء الروائي حيث لا يوجد لا أحداث ولا شخصيات ولا حتى لحوار خارج إطار الزمن، ونعني بذلك الحيز المعنوي ألا مرئي والمجرد في الان نفسه المشكل للحياة "[2] .

"أصبح الروائيون الكبار يعتنون أشد الإعانات باللعب بالزمن مثل اللعب بالحيز واللغة والشخصيات حتى كانت الرواية فن للزمن مثلها مثل الموسيقى ".

---

[1] عمر عاشور، البنية السردية عند الطيب صالح، ص21.

[2] حسن نجمي، شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي، الطبعة الأولى، 2000، ص65.

فلي الزمن أهمية كبيرة في الحكي فهو يعمق الإحساس بالحدث والشخصيات لدى المتلقي فعادة ما يميز الباحثون السرديات البنيوية بين مستويين هما

"**زمن القصة** وهو زمن وقوع الأحداث المروية في القصة فلكل قصة بداية ونهاية يخضع زمنها إلى التتابع المنطقي

–زمن السرد وهو الزمن الذي يقدم من خلاله السارد القصة ولا يكون بالضرورة مطابقا لزمن القصة، فبعض الباحثين يستعملون زمن الخطاب بدل مفهوم السرد "[2].

وأخيرا نستنتج أن الزمن حقيقة مجردة لا تظهر إلا من خلال مفعولها على العناصر الأخرى أي المكان والشخصيات والحدث في العمل الروائي كما يعتبر الزمن من العناصر الأساسية والمهمة التي تبنى عليها الرواية فهو ينقسم إلى عدة أنواع تختلف باختلاف توظيفها في العمل الروائي فلا يوجد أساسا رواية بدون زمن .

المبحث الثاني: مفهوم المكان وأنواعه:

أولا مفهوم المكان لغة واصطلاحا

أ لغة :يعد المكان من عناصر البناء السردي والذي تباينت فيه الآراء ووجهات النظر واختلفت فيه المفاهيم كل حسب رأيه لإيجاد مفهوم واضح له يتميز به هذا العنصر السردي المهم باعتباره في علاقته وثيقة بالإنسان فلا قيمة للمكان دون وجود الانسان عليه وبدوره لا يستطيع الانسان العيش من دون مكان فهما متلازمان منذ القدم، ولهذا نجد معظم التعاريف اللغوية تحصر مفهوم المكان في الموضع والمكانة والمنزلة، وقد ورد في المعجم الوسيط لشوقي ضيف أنه " المكان، المكانة

[1]عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية ، بحث في تقنيات السرد ، عالم المعرفة الكويت دون طبعة ، 1998 ، ض193.

[2]محمد بوعزة، تحليل النص السردي (تقنيات ومفاهيم)،دار الأمان الجزائر ، الطبعة الأولى 2010، ص87.

المنزلة ورفعة الشأن يقال مر على مكانته : متئدا وامشي على مكانتك برزانة مكانات أي مكانة "[1].

كما نجد أن ابن منظور خصص جزء لذكر المكان في كتابه لسان العرب يقول : "المكان الموضع والجمع أمكنة، وأماكن، تواهموا الميم أصلا حنى قالوا تمكن في المكان، وهكذا أوردها ابن منظور تحت الجذر (كون) لكنه ما ليت إن عاد الحديث تحت جذر (مكن) فقال : المكان، الموضع والجمع أمكنة، كقذال وأقذلة وأماكن جمع الجميع قال ثعلب : يبطل أن يكون مكانا فعلا لأن العرب تقول من مكاتك وفم مكانك واقعد مقعدك، فقد دل هذا على أنه مصدر من مكان أو موضع به "[2].

هنا يؤكد ابن منظور أن أصل كلمة المكان مشتقة من (كون) لا من (مكن) على الرغم من ذكره المكان ضمن الجذرين (كون ومكن) .

وكذلك كان مذهب الزبيدي اذا استشهد بقول الليث يقول "المكان اشتقاقه من كان يكون ولكنه لما كثر في الكلام صارت الميم كأنها أصلية ووافقهما الأزهري ودلل على صحة هذا الأصل بأن العرب لا تقول هو من مكان كذا وكذا ولكن قول العرب :فان أردت أن تجعله في ذلك الموضع فصار قولك هو مني بمنزل مكان كذا وكذا "[3] ومن هنا يمكننا ترجيح القول أن المكان هو كون على وزن مفعل لا كما قال الكوفي " المكان لغة : الحاوي للشيء المستقر كمقعد الانسان من موضع قيامه واضجاعه، وهو (فعال) من التمكن لا (مفعل) من الكيون، كالمقال من القول لأنهم

[1] شوفي ضيف، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة الرابعة، دون تاريخ ص772.

[2] حميد الحمداني، بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، دار البيضاء، الطبعة الثالثة، 2000، ص16.

[3] المرجع نفسه، ص17.

قالوا في جمعه : " أمكن، وأمكنة، وأماكن، وقالوا لا تمكن ولو كان من القول لقالوا تكون " [1].

فالمكان في اللغة عند الدارسين فهو مشتق من عدة مراجع كل حسب وجهته ودراساته.

ب اصطلاحا : تعد دراسة المكان كعنصر بناء يساهم في تشييد الرواية ضرورية لكشف ومعرفة خصائص هذا الفن وما يميزها من روائي إلى آخر ويؤكد ذلك الناقد حميد الحمداني بقوله : " إن الأبحاث المتعلقة بدراسة فضاء في الحكي تعتبر حديثة العهد ومن الجدير بالذكر أنها لم تتطور بعد لتؤلف نظرية متكاملة في الفضاء المكاني مما يؤكد فعلا أنها أبحاث لا تزال في بداية الطريق، ثم الآراء التي نجدها حول هذا الموضوع هي عبارة عن اتجاهات متفرقة لها أي تراكمت لتساعد على بناء تصوير متكامل حول الموضوع يقول هنري : لا وجود لنظرية مشكلة عن فضائية حكائية، ولكن هناك فقط مسار للبحث مرسوم بدقة كما توجد مسارات على هيئة متقطعة " [2].

كما نجد المكان عنده يتمثل في البيت وهو يركز عليه انطلاقا لما له من قيم الحميمة والحماية فهو يعتقد أن كل الأمكنة المسكونة حفا والمعلوم بها تحمل جوهر مفهوم البيت، فحيث ما يجد الانسان مكان يتمتع ببعض صفات المأوى ينشط خياله فيبني جدران، ويغرق في التمتع بالوهم والحماية أو على العكس من ذلك فقد يعيش المرأ خلف الجدران ". انطلاقا من هذا يقوم يوري لوتمان تعريفا أشمل للمكان، وهو تعريف لا يقتصر على مكان النص والمكان الجغرافي وإنما يتعداهما إلى كل الأشياء التي يمكن أن تقوم بينهما علاقات مكانية يقول : " المكان هو مجموعة الأشياء

[1] حميد الحمداني، بنية النص السردي، ص17.

[2] الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، دراسات في روايات نجيب الكيلاني، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2010، ص 189.

المتجانسة من الظواهر والحالات أو الوظائف أو الأشكال المتغيرة تقوم بينهما علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة العادية مثل اتصال المسافة ..."[1].

كما نجد الكثير من النقاد يركزون على ضرورة الميز الفني بين المكان الروائي والمكان الواقعي فهذا الأخير هو المكان الحقيقي الذي يوجد خارج العالم الروائي التخيلي أي أنه يوجد في العالم المعيش ، ويطلق عليه النقاد مسميات عديدة منها المكان الموضوعي والمكان الخارجي والمكان الطبيعي والمكان المرجعي وغير ذلك من المسميات التي تدل على أنه الموجود خارج الخطاب الروائي في الواقع المعيش أما المكان الروائي " فهو المكان المتخيل الذي يوجد داخل العالم الروائي وهو مكان لا يشكل إلا باللغة وعلاماتها ، فالنص الروائي يخلق عن طريق الكلمات مكانا خياليا فيه مقومات الخاصة وأبعاده المميزة وبما أن المكان الروائي لا يوجد له بعدا عن علامات اللغة، فانه يتضمن كل المشاعر والتصورات المكانية التي تستطيع اللغة التعبير عنها وبذلك يكون المكان الروائي العمود الفقري الذي يربط أجزاء الرواية بعضها ببعض وقد ينشاب أحيانا المكان الواقعي في الاسم والشكل في بعض الروايات، وذلك أن المكان الروائي هو مكان فني "[2].

من خلال التعاريف السابقة الخاصة بمفهوم المكان الروائي يمكننا حصرها في أن المكان هو عنصر فعال وأساسي يتحكم في بناء الرواية كأرضية الكثير من الأحداث المرتبطة بتعدد الشخصيات الروائية، وعلى أنه المسرح أو المحيط الذي تجري فيه الأحداث وتتكرر فيه الشخصيات .

---

[1] يوري لوتمان، مشكلة المكان الفني، ترجمة سيزا قاسم، مجلة البلاغة المقارنة، القاهرة ،دون طبعة، 1986،ص79.

[2] حفيظة أحمد، بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية، منشورات أوغارت، الطبعة الأولى 2007، ص122.

ج المفهوم الفلسفي للمكان :لقد تنوعت عند الفلاسفة وتعددت الآراء حوله ومن بين ذلك نجد حسن مجيد الربيعي يستحضر في كتابه الموسوم بنظرية المكان في الفلسفة ل ابن سينا جملة من التعريفات لأهم الفلاسفة الغرب المنتمين الى المدرسة القديمة والحديثة والمعاصرة نقطع منها ما يلي :

"عند أفلاطون يعرفه بأنه ما يحوي الأشياء، ويقبلها ويتشكل بها .

أما الفيلسوف الرياضي اقليدس فالمكان عنده ينبغي أن يكون ذا ثلاثة أبعاد هي الطول والعرض والعمق .

ديكارت وهو أحد فلاسفة العصر الحديث يرى بدوره المكان يمتد في الأبعاد الثلاثة كما حدده اقليدس .

في حين يعتبر سينوازا ومالبراش المكان امتداد غير متناه .

أما العالمان الفزيائيان نيوتن وكلارك إضافة الى اعتبارهما المكان حاوي للأشياء كما عده أفلاطون فإنهما يضيفان إلى هذا التعريف خصائص اللامتناهي، الأبدية القدم عدم الفناء"[1].

كما نجد أن أرسطو يتصور المكان وعاء يحوي الأجسام ، لكنه لا يختلط بها كما أنه يفسد بفسادها يعرفه بقوله : إن الحد اللامتحرك المباشر الحاوي، أو السطح الحاوي من الجرم الحاوي المماس للسطح الظاهر للجسم المحوي ".[2].

أما الفلاسفة قد أفادوا من فكرة أرسطو في اقراره لوجود المكان وعدم تأثره بالأجسام المتمكنة فيه حيث يقف الكندي إزاء فكرة المكان موقفه في تأكيد ثبوته وعدم فساده

[1] باديس فوغالي،ا لزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع الطبعة الأولى،2007، ص171.

[2] المرجع نفسه، ص172 .

ومن هذا التعريف إن المكان هو أساس الحياة اذ يربط الناقد تعريفه بأن المكان عبارة عن وعاء حاوي .

د المفهوم الأدبي للمكان :قبل استعراض مختلف الآراء التي وقف عندها النقاد إزاء مصطلح المكان في دراساتهم النقدية حرى بنا أن ننبه إلى ملاحظتين :

"الملاحظة الأولى في أن الاهتمام بالمكان كعنصر من عناصر البناء الفني للعمل الإبداعي جاء متأخرا بالقياس الى العناصر الأخرى التي ينهض بها العمل الإبداعي كالشخصية والحوار والوصف والسرد وغيرها .

أما الملاحظة الثانية فتشير الى أن النقاد الذين اتخذوا من المكان حقلا دلاليا في دراساتهم قد أفادوا في تحديد مفهومه النقدي الاجرائي من مختلف المفاهيم التي طرحها الفلاسفة من قبل الحيز والخلاء والفضاء والبعد "[1].

فهو الصفحة التي تطل على الماضي ، نجد أن النقاد البنيويون يركزون على ضرورة التميز الفني بين المكان الروائي والمكان الواقعي فالمكان الواقعي هو المكان الحقيقي الذي يوجد خارج الرواية، واقتصد شارل كريقل ابراز ما اقترح تسميته بسردانية المكان المخالفة لسرديته، فالمكان في نظره هو الذي يؤسس المحكي لأن الحدث في حاجة إلى مكان بقدر حاجته الى فاعل وإلى زمان ومكان وهو الذي يضفى على التخيل، وبما أن المكان ليس حييزا جغرافيا هندسا فقط، إنما حامل تجربة إنسانية تعيش في الذاكرة يتذكرها من حين إلى آخر يؤكد الناقد بانسن "يلخص مفهوم المكان بأن المكان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الانسان ومجتمعه لذا فشأنه شأن أي انتاج اجتماعي يحمل جزء من أخلاقه، وأفكاره ووعي ساكنه "[2].

---

[1] باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، ص174.

[2] الشريف حبيلة ، بنية الخطاب الروائي،ص190 .

ويتجاوز الدكتور عبد الفتاح عثمان :"المفهوم الهندسي للمكان باعتباره رقعة جغرافية إلى دلاله الواسعة التي تشمل البيئة بأراضيها وناسها وأحداثها ، وهمومها و تطلعاتها وتقاليدها وقيمها حيث يصبح المكان كائنا حيا يمارس حركته في الخطاب ويؤثر ويتأثر بباقي مكونات الرواية "[1].

وأخيرا نستنتج من هذه الآراء كلها أن المكان لا يراد به دلالته الجغرافية المحدودة ،بل هو كيان زاخر بالحياة والحركة ويأثر ويتأثر بالرواية أي في الرواية هو مكان خيالي له مقوماته الخاصة .

هـ مفهوم المكان عند النقاد الغربين :لقد حاول النقاد الغربين التمييز بين المصطلحات الاتية وهي التي تصب جميعا في مفهوم المكان وهي : الحيز والمجال والموقع والفضاء فله أهمية كبيرة في النصوص الروائية لاهتمامه بمنطق الأحداث ووظائف الشخصيات وزمن الخطاب ، لقد حاول النقاد الغربيون التمييز بين التي تصب في مفهوم المكان حيث ميز المنظرون الألمان بين مكانيين متعارضين في العمل الحكائي "حيث عنونا الأول المكان المحدد الذي يمكن أن تضبطه الإشارات الاختبارية كالمقاسات والاعداد، في حين قصدوا بالثاني الفضاء الدلالي الذي تؤسسه الأحداث ومشاعر الشخصيات في الرواية".[2].

يوري لوتمان يعرفه على أنه " مجموعة الأشياء المتجانسة من الظواهر والحالات والوظائف والأشكال، والصور والدلالات المتغيرة التي تقوم بينهما علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة العادية مثل الامتداد والمسافة والعلاقة التي يعنيها لوتمان هنا هي البطاقة المكانية أو الثنائيات الضدية كالألفاظ القريب، البعيد، فوق، تحت يمين، يسار، أما النقاد الفرنسيين فقد أضافوا ذرعا بمحدودية مصطلح الموقع فعمدوا

[1] الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، ص191.

[2] باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، ص 175.

الـى اسـتخدام كلمـة الفضـاء اذا اعتبرنـا كـل مـن غاسـتون باشـلار وبـولي الفضـاء المحتوى تتجمع فيه مجموعة من الأشياء المتفرقة، وذلك من خلال جدلية الداخل والخارج بالنسبة لباشلا، والمسافة الداخلية بين الفكرة وموضوعها بالنسبة لبولي أما غريماس فقد انطلق من مفهومه للمكان من منطق الرؤية اذ يرى أنه أي فضاء نصي حسب اقتراحه موضوع هيكل يحتوي على عناصر متقطعة غير مستمرة لكنها منتشرة، لكنها منتشرة عبر امتداد وفق نظام هندسي متميز، أما الناقدة جوليا كرستيفا تقترح في دراستها لفن الرواية رؤية الفضاء الذي ترى في ضوئه الرؤية للمبدع في عملية الابداع إزاء الكون وما يحيط به، أما النقاد الانجليز فلم يكتفوا باستخدام مصطلح المكان والفضاء بل أضافوا مصطلح اخر للتعبير عن المكان المحدد لوقوع الحدث "[1].

اذن يتضح لنا من خلال هذه التعريفات عند النقاد الغربيين أن المكان عندهم يعد أهم ركن في الرواية حيث يمثل عنصرا من العناصر الحيوية التي يقوم عليها العمل الفني الروائي .

ومفهوم المكان عند النقاد العرب :لم يحفل النقد العربي بالمكان كعنصر أساسي من عناصر البناء الفني، سواء في الأعمال السردية كالرواية والقصة والمسرحية أما في الأعمال المشهدية كالسنماء والفن التشكيلي الا في منتصف القرن العشرين ولعل أول بوادر الاهتمام به قد بدأت مع ترجمة الناقد والروائي العراقي غالب هالسا في كتاب شعرية الفضاء لغاستون باشلا، اذا نقله الى العربية تحت عنوان جماليات المكان ، أما النقاد اللذين أولوه عناية خاصة في مختلف الدراسات التي أنجزوها في تحليل الخطاب الروائي فنذكر منهم على وجه الخصوص الناقد الغربي حميد الحمداني في كتابه بنية النص السردي الذي يعتبره بمثابة العمود الفقري لأي نص، أما الناقد الجزائري عبد المالك مرتاض الذي أعطاه أهمية قصوى في العديد من الدراسات

[1] باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، ص176.

يعرفه في كتابه تحليل الخطاب السردي بقوله :"هو كل ما في حيز جغرافي حقيقيا من حيث نطلق الحيز في حد ذاته على كل فضاء خرافي أو أسطوري أو كل ما نبذ عن المكان المحسوس، كالخطوط والأبعاد والأحجام والاثقال والأشياء الجسمية مثل الأشجار والأنهار "[1].

في حين يمثل ادريس بودبية أن المكان هو " المكان بمجالين المكان والإطار والمكان والفعل الأول هو ديكور الحدث الذي يهبه له شروط وجوده، والثاني هو لحظة التنوير المقترنة بمركزية الحدث الروائي "[2].

نستنتج من خلال أراء النقاد العرب أن هذا العنصر الفني قد شغل اهتمامهم وذلك من خلال محاولة كل واحد منهم وضع مفهوم جديد وشامل للمكان .

ثانيا : أنواع المكان :لقد اختلف الدارسين والباحثين في تحديد أنواع المكان في الرواية حيث حضى باهتمام كبير لكونه أهم عنصر مكون للبنية الروائية ومظهر من مظاهر جمالها لذا نجدهم قسموه الى أماكن مغلقة وأماكن مفتوحة، يقول حسن بحراوي في هذا الصدد الذي قام بتقسيم المكان الى قطبين المغلق والمفتوح " اذ بدوره قام بالتمييز بين الانتقال وأمكنة الإقامة لقد نظرنا الى الأماكن والفضاءات التي تزخر بها الرواية المغربية فوجدناها تتوزع الى فئات ذات تنوع كبير من حيث الوظيفة والدلالة، وامكننا أن نميز مبدئيا بين أمكنة الإقامة وأمكنة الانتقال لكي نحصل على ثنائية ضدية أولى سيتلوها اكتشاف ثنائيات أخرى، تابعة أو ملحقة وهكذا صار باستطاعتنا أن نعثر مثلا ضمن أماكن الإقامة على تقاطب جديد بين

[1] باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، ص177.

[2] ادريس بودبية، الرؤية و البنية في روايات الطاهر وطار، منشورات جامعة قسنطينة، الطبعة الأولى، 2002، ص 182 .

أماكن الإقامة الاختيارية وأماكن الإقامة الراقية والشعبية القديمة، الضيقة والمتسعة الاهلة والخالية ...".[1].

إن الأماكن المفتوحة : "تتخذ من الروايات في عمومها أماكن مفتوحة على الطبيعة وتأطرها لأحداث مكانها و تخضع هذه الأماكن لاختلاف بفرض الزمن المتحكم في شكلها الهندسي وفي طبيعتها وفي أنواعها اذ تظهر فضاءات وتختفي أخرى ، فالحي في عمالقة الشمال ليس هو الحي في قاتل حمزة ، وكذا المدينة ويمكن حصر الأماكن التي كان لها حضور كثيف في الرواية "[2].

أما الأماكن المغلقة : فيكسب المكان وجود من خلال أبعاده الهندسية والوظيفية التي يقوم بها " فاذا كانت الفضاءات المفتوحة امتدادات للفضاء الكوني الطبيعي مع تغيرات فرصة حاجة الانسان المرتبطة بعصره، فان الحاجة ذاتها تربط الانسان بفضاءات ينتقل بينهما الانسان ويشكلها حسب أفكاره، والشكل الهندسي الذي يروقه ويناسب تطور عصره وينهض الفضاء المغلق كالنقيض للفضاء المفتوح، ولقد جعل الروائيون هذه الأمكنة وجعلوا منها اطار للأحداث قصصهم ومتحرك شخصياتهم واتخذت خصوصيات مختلفة باختلاف تصورات الكتاب، ولا تخلوا روايات من هذه الأماكن "[3].

فالمكان يساهم في اصطناع المعنى داخل أي عمل روائي ولا يكون دائما تابعا أو سلبيا فالموقف من المكان ضعف قيمته فهو يثير أحاسيس ومشاعر مما يجعله يترك أثر كبير على نفسية الانسان وقد يتجاوز الأثر النفسي فهناك بعض الأماكن تكون محملة بدلالات فكرية تعمل في اكمال المعنى في الرواية ، ويقول حميد الحمداني في كتابة بنية النص السردي :"ف اسقاط الحالة الفكرية أو النفسية للأبطال على

[1] حسن بحراوي،بنية الشكل الروائي، ص40.

[2] الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، ص244.

[3] المرجع نفسه، ص204.

المحيط الذي يوجدون فيه يجعل للمكان دلالة تفوق دوره المألوف كديكور أو كوسيط يؤطر الأحداث أنه يتحول في هذه الحالة الى محور حقيقي ويقتحم عالم السرد محورا نفسه كهذا من أغلال الوصف "[1].

اذن فالمكان عنصر من عناصر لا غنى عنه في العمل الأدبي السردي وخاصتا عندما يصبح محورا حقيقيا من خلال الاسقاطات التي يقوم بها الروائي، فهو من أهم المحاور الروائية المؤثرة في ابراز فكرة الكاتب وتحليل شخصياته من الناحية النفسية ولا شك فالمكان الروائي يرتبط بالأحداث والوقائع الواقعية المتخيلة التي ترتبط أيضا بمرجعية واقعية تتشكل حسب التخيل للأحداث، وطبيعة الرواية هي التي تجعل من الأمكنة فضاء يزخر برؤية شاملة ومتنوعة فهو واسع يشمل المساكن والطرق والمعالم والأراضي والمدرسة والشوارع وغيرها .

لم يعد الشكل المكاني يشكل بعض العالم والتضاريس بل هو عالم تسكنه الشخصيات ويساهم في سير الأحداث داخل الرواية فيتحول من كونه مكانا الى شخصية روائية في ذاكرة القارئ تكتسي ملامح وأبعاد يحولها الى فضاء أشبه بالفضاء الواقعي " لأن الأمكنة وتواتراتها في الرواية يخلقان فضاء شبها بالفضاء الواقعي، وهما لذلك يعملان على ادماج الحكي في النطاق المحتمل "[2].

ومن خلال ما تعرضنا له من مفهوم أنواع المكان يمكن أن نستخلص أيضا ثلاثة أنواع أخرى من المكان وهي : المكان الجغرافي ، والطباعي والروائي ويمكن تعريفها كالاتي :

1 المكان الجغرافي :"وهو المكان الذي تدور فيه الاحداث أو المكان الذي يغري الكاتب، فيتحول الى موضوع تخيل وهو غالبا ما يحدد جغرافيا من طرف الكاتب فاذا

[1] حميد الحمداني، بنية النص السردي، ص71.

[2] المرجع نفسه، ص64.

ذكر اسم المدينة أو المنطقة أو الركن فنحن ندرك تلقائيا الجغرافية لهذا المكان بالإضافة إلى ذلك فإن الفضاء الجغرافي غير منفصل عن دلالته الحضارية إذ يتشكل من خلال العالم القصصي، يحمل معه جميع الدلالات له، والتي تكون عادة مرتبطة بعصر من العصور حيث تسود ثقافة معينة أو رؤية خاصة للعالم "[1] .

ويقصد بذلك الفضاء المكاني يسرد في إطاره الروائي في تحديد دلالته، وإبراز علاقته مع النصوص المتعددة لعصر زمني ما أو فترة زمنية معينة.

2 الفضاء الطباعي : "ويقصد به المكان الذي يحتله النص في الصفحة، وذلك أن الكتابة ليست تنظيما للأدلة على أسطر أفقية متوازية فقط أنها قبل كل شيء توزيع لبياض وسواد على مسند وهو في عموم الحالات الورقية البيضاء فهو الحيز الذي تشغله الكاتبة ذاتها من تصميم الغلاف إلى الفصول وتنظيمها، ووضع المطالع وأشكال الكتابة المطبعية وقد اهتم ميشال بورتو بهذا الفضاء كثيرا واقفا عند فضاء النص بالنسبة لأي مؤلف كان واضعا أبعاد ثلاثة للكتاب ويقصد بها طول السطر وعلو الصفحة وسمك الكتاب ولا شك أن الفضاء الطباعي أو النصي هو فضاء مكاني لأنه لا يتشكل إلا عبر المساحة فلا علاقة له بالمكان الذي تتحرك فيه الشخصيات بل هو مكان تتجول عبره عين القارئ "[2] .

3 الفضاء الروائي : و يقصد به اتحاد المكانين السابقين أي يتخيل عند قراءة الرواية "والفضاء في الرواية ينشأ من خلال وجهات نظر متعددة لأنه يعاش على مستويات من طرف الراوي بوصفه كائنا مشخصا وتخيليا أساسا ومن خلال اللغة التي يستعملها، فكل لغة لها صفات خاصة لتحديد المكان (الغرفة، الحي، المنزل) ثم

[1] حميد الحمداني، بنية النص السردي، ص54.

[2] محمد المكاوي، الشكل والخطاب، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء المغرب، الطبعة الأولى، 1991، ص105.

من طرف الشخصيات الأخرى التي يحتويها المكان، ومن المقام الأخير من طرف القارئ والذي يدرج بدوره وجهة نظر غاية في الدقة "[1].

يرى غاستون باشلار أن المكان ليس بمثابة الوعاء أو الاطار التكميلي بل أن علاقته بالإنسان علاقة جوهرية تلزم ذات الانسان وكيانه، فهو يرتبط به بالميلاد والصبي، ولترعرع ، والكبر، فهو اجتماعي فالعناصر الطبيعية كالماء والنار والهواء لا ترد كإطار غير ذي معنى بل كثيرا ما تكون مشحونة بالدلالات التي يكسبها الانسان هذه المعاني والدلالة التي يكسبها المكان من خلال علاقته بالإنسان أو القارئ "[2].

وبناء على ذلك يمكننا النظر الى المكان بوصفه شبكة من العلاقات والرؤى ووجهات النظر التي تتضامن مع بعضها لتشيد الفضاء الروائي الذي ستجرى فيه الأحداث " فالمكان يكون منظما بنفس الدقة التي نظمت بها العناصر الأخرى في الرواية لذلك فهو يؤثر فيها ويقوي من نفوذها كما يعبر عن مقاصد المؤلف ، وتغيير الأمكنة الروائية ستؤدي الى نقطة تحول حاسمة في الحبكة وبالتالي في تركيب السرد والمنحى الدرامي الذي يتخذه.

أخيرا فان الأجزاء المكونة للنسيج الحكائي يمكنها أن تبين لنا الكيفية أو الطريقة التي ينظم بها الفضاء الروائي، وذلك أن المكان في الرواية شديد الارتباط ليس بوجهات النظر فقط بل بالأحداث والشخصيات كذلك، وزمن القصة وبالكثير من القضايا.

ثالثا أهمية المكان :ان تشخيص المكان في الرواية هو الذي يجعل من أحداثها بالنسبة للقارئ شيء يحتمل الوقوع ، بمعنى يوهم بواقعيتها أنه يقوم بالدور نفسه الذي يقوم به الديكور والخشبة في المسرح، وطبيعي أن أي حدث لا يمكن أن يتصور

[1] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، (الفضاء ، الزمان ، الشخصية)، ص32.

[2] حميد الحمداني، بنية النص السردي، ص61.

وقوعه إلا ضمن إطار مكاني معين، لذلك فالروائي دائم الحاجة إلا التأطير المكاني غير أن درجة هذا التأطير وقيمته تختلفان من رواية الى أخرى " غالبا ما يمكن وصف الأمكنة والروايات الواقعية مهيمنا بحيث تراه يتصدر الحكي في معظم الأحيان ، ولعل هذا ما جعل هنري يعتبر المكان هو الذي يؤسس الحكي لأنه يجعل القصة المتخيلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة وفي اطار التأكيد نفسه، على أهمية المكان يشير جيرار جينت الى الانطباع الذي كونه مارسيل بروست عن

الأدب الروائي اذ يتمكن القارئ من ارتياد أماكن مجهولة متوهما بأنه قادر على أن يسكنها أو يستقر فيها اذا شاء "[1].

فالمكان ركيزة أساسية في بناء العمل الروائي السردي فهو صيغة استثنائية في الرواية فهو ليس مكان معتاد كالذي نعيش فيه أو نخترقه يوميا ، لكنه جاء في صورة مشهد وصفي أو مجرد اطار الأحداث فمهمته الأساسية التنظيم الدرامي لأحداث فهو أحد الركائز الأساسية لها لأنه المكان الذي تدور فيه الحوادث ويتحرك من خلالها الشخصيات بل لأنه يتحول في بعض الأعمال المتميزة الى فضاء يحتوي كل العناصر الروائية بما فيها من حوادث وشخصيات، ومن بينها من علاقات ويمنحها المناخ الذي تفعل فيه وتعبر عن وجهة نظرها ويكون هو نفسه المساعدة في بناء الرواية "[2].

وأخيرا نستنتج أن لأهمية المكان تتجلى من خلال علاقته مع العناصر التي يقوم عليها العمل الروائي فنجده متلاحم معها .

[1] حميد الحمداني، بنية النص السردي، ص65.

[2] مهدي العبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حمامية، منشورات الهيئة السورية للكتاب، دمشق دون طبعة، دون تاريخ، ص 35.

4 علاقة الزمان بالمكان :يشكل كل من الزمان والمكان الروائيين أحد مكونات الرئيسية والأساسية في بناء الرواية، فهما يدخلان في علاقات متعددة مع المكونات الحكائية الأخرى للسرد كالشخصيات والأحداث والروايات السردية ويوصف المكان على أنه تنشأ فيه الأحداث أو الحيز الذي تتحرك فيه الشخصيات، أو تقيم فيه فتنشأ علاقة متبادلة بين الشخصية والمكان وهي علاقة ضرورية لتمنح العمل الروائي خصوصية وطابعه ومن ثم تمنح المكان صفاته ومعناه ودلالته أما بالنسبة للزمن فهو يتجلى في عناصر الرواية كافة، فالأحداث التي يسردها الكاتب والشخصيات الروائية التي يجسدها كلها تتحرك في زمن محدد، يقاس بالساعات والأيام والشهور والسنين، وعلى مستوى آخر قد يكون الزمن ودودا ولطيفا لأنه يحمل حلولا لمعضلات لم تكن تبدوا في طريقها للحل .

"فإذا كان العمل الروائي غير مقيد بقانون وليس له ضابط يضبطه بحيث يمكن أن تدور أحداث رواية كاملة في يوم أو ساعة أو تاريخ ممتد، وربما دقيقة أو بضع دقائق، فإن المكان الروائي غير مقيد بقانون أيضا وليس له كذلك ضابط يضبطه بحيث يمكن أن تدور أحداث الرواية في منزل أو سجن أو شارع أو غرفة صغيرة أو حديقة، أو فوق أسطح أحد المنازل، أو في قرية أو مدينة أو دولة أو عدة دول وغير ذلك مما قد يخطر على البال أو لا يخطر"[1].

فالعمل الروائي من هنا له الحرية المطلقة في دوران أحداث الرواية " ويمكن مقارنة العلاقة بين الزمان والمكان بما يمكن أن نسميه بالعالم العاري والقوة الشبه خفية، إن عالم المكان عالم عار،ظاهر للعيان يمكننا أن نراه و نلمسه و نتحقق من وجوده بينما في حالة الزمن فإننا نحس بقوة ولكننا لا نستطيع أن نراه بشكل مباش، وإنما

[1] أحمد حمد النعيمي ، ايقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، الطبعة الأولى، 2004،ص67.

من خلال ما يفعله بنا وبالناس والأشياء من حولنا إنه قوة شبه خفية وشبه مرئية أيضا "[1] .

يتبين لنا من خلال هذا القول أن العلاقة بين الزمان والمكان هي علاقة ظاهرية مرئية غير خفية يمكن للعالم أن يلمسها .

"والحال أن المكان الروائي لا يعيش منعزلا عن باقي عناصر السرد وإنما يدخل في علاقات متعددة مع المكونات الحكائية الأخرى للسرد : كالشخصيات والأحداث والرؤى السردية وعدم النظر إليه ضمن هذه العلاقات والصلات التي يقيمها يجعل من العسير فهم الدور النصي الذي ينهض به الفضاء الروائي داخل السرد، وكذلك فإن الزمن الروائي لا يعيش منعزلا عن باقي عناصر السرد، فالشخصيات التي تأثر بمكان ما، فإنها لا تتأثر به إلا من خلال فعل الزمن في ذلك المكان، فالزمن هو ما جعل منه صرحا عالي البنيان، أو هو ما أحله إلى خراب، أو هو ما تغافل عنه"[2].

نرى من هنا أن لكل من الزمان والمكان علاقة مع المكونات الحكائية الأخرى للسرد كالشخصيات والأحداث وغيرها وتعتبر من أهم صلات النص الحكائي الذي يقوم عليها.

" والزمان والمكان هما مكونا الفضاء الذي تشكل فيه الوجود الإنساني ولكل بيئة مكانية خصائصها الطبيعية والمناخية والجيولوجية والأكولوجية والأنثرولوجية كما لها ذاتيتها، التارخية ولكل رواية علاقة خاصة تربط بين الزمان والمكان من ناحية الزمان والشخصيات من ناحية أخرى أي بين الحاضر الشخصية وماضيها وتتسم

[1] أحمد النعيمي ، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة ، ص77.

[2] حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي ، ص26.

هاتان العلاقتان بمجموعة من القيم الجمالية والاجتماعية التي تشكل فضاء الرواية "[1].

فالزمان والمكان أحد مكونات الفضاء الأساسية ولكل نص روائي علاقة خاصة تربط بين الزمان والمكان ولكل علاقة مجموعة من القيم الجمالية التي تشكل فضاء الرواية

[1] أحمد حمد النعيمي، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة ، ص82.

الفصل الثاني :

دلالة الزمان و تجليات المكان في رواية (أنا قبل كل شيء)

المبحث الأول : أنواع التقنيات الزمنية في الرواية

أولا : الإسترجاع في الرواية

ثانيا : الإستباق في الرواية

المبحث الثاني : تجليات المكان في الرواية وعلاقته بالزمان

أولا : الأماكن المفتوحة في الرواية

ثانيا : الأماكن المغلقة في الرواية

يعد الزمان من العناصر الأساسية في النص القصصي بحيث نجده يختلف من نص الى آخر أي من رواية إلى أخرى حسب طريقة توظيفه أو استخدامه ، ولهذا فإن للزمان أنواعا متعددة أشرت إليها سابقا ولتي تتمثل في الاستباق والاسترجاع .

المبحث الأول: أنواع التقنيات الزمنية في رواية أنا قبل كل شيء :من أهم التقنيات الزمنية التي تضمنتها الرواية نجد :

أولا:الاسترجاع :يمثل الاسترجاع تقنية زمنية يستطيع السارد من خلالها العودة الى زمن سابق مرت به ذكرياته فلاسترجاع هو "استذكار الأحداث والوقائع الماضية يأخذ أكثر من بعد فقد يكون الماضي على شكل وخزات ضمير وقد يكون على شكل اعتداد بالنفس لما حققته الشخصية من إنجازات "[1] .

فالاسترجاع عنصر مهم في استرجاع ماضي الشخصية مثل إعطاء معلومات حول سوابق شخصية في عالم جديد دخلت عالم الرواية أو استرجاع شخصية كانت حاضرة في عالم السرد ثم غابت لتعود مجددا ، حيث يمثل الاسترجاع كما ذكرنا سابقا واحد من أهم الآليات السردية التي ظهرت في الأنواع السردية عامة والرواية بصفة خاصة نجده على مستوى استرجاع قصة كاملة أو إعادة ترتيب الأحداث وفق زمن سردي يتبناه السارد في الرواية حيث يمكن تقسيم الاسترجاع الى استرجاع داخلي واخر خارجي أي على الوجه الذي يظهره وجه الروائي .

أ:استرجاع خارجي :" هو الاسترجاع الذي يستعيد أحداثا تعود الى ما قبل بداية الحكاية وهو الذي يعالج احداثا تنتظم في سلسلة سردية تبدأ وتنتهي قبل نقطة البداية ."[2]

[1] أحمد حمد النعيمي ، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة ، ص32.

[2] هيثم الحاج علي ، الزمن النوعي و إشكالية النوع السردي ، مؤسسة الانتشار العربي ، الطبعة الأولى ، 2007 ، ص63.

فالقارئ يواجه هذا النوع من الاسترجاع كحاجز يعيقه على استقصاء الأحداث المتبقية من القصة، فنجد هذا النوع من الاسترجاعات في رواية أنا قبل كل شيء في قول (ورد) وهي في عزلة مع نفسها تتذكر ما كانت تعيشه عندما كانت تبصر قبل أن تفقد بصرها تقول: "أذر بائع الحلوى الذي كان يمر ببيتنا، ويصرخ عاليا وكأنه اعتلى مأذنته، فبات ينشد شداه في أذني "[1].

تقول (ورد) أنها لم تكن الطفلة المدللة في العائلة بل كان لها عدة إخوة تقو في الرواية " لم أكن الطفلة المدللة ، كنت محشورة بين تسعة أخوة وأربع وسائد "[2].

يميز هذا المقطع السردي بعدم انتمائه للرواية التي كانت ترويها ورد يتمثل الاسترجاع في هذا المقطع فيما يلي :

مؤشرات الاسترجاع الخارجي : أذكر، لم أكن، نشأت .

موضوعه : تتذكر ورد بائع الحلوى الذي كان يمر عبر أزقة بيتهم، وما عاشته في الصغر .

وظيفته :وهو تقديم معلومات عن الماضي التعيس الذي عاشته ورد في صغرها وعدم استلامها

ورد في الرواية طفلة صغيرة أصيبت بالعمى تتذكر ما دار من حوار بينها وبين نفسها هنا نوع من الاسترجاع الداخلي حيث تستذكر كيف كانت تعيش من ماضي تعيس تقول ورد :

" نشأت في قرية صغيرة رائحة الطين فاحت من جدرانها تراب طرقاتها بين أظافري وضفيرتي ، وفي الصباح أنفض من وجهي ما علق به ، وأبتسم ابتسامة بزوغ طفلة

[1] جوهر الرمال، أنا قبل كل شيء، دار الأدب العربي للنشر و التوزيع ، السعودية ، 2017 ص9.

[2] الرواية، ص 9 .

صغيرة تجبرها شمس الصباح على الاستيقاظ مع صوت الذباب لا الطيور ، تصحو معي معدة فارغة التي يبدو أزيرها مزعجا."[1].

تصف ورد في هذا المقطع كيف نشأت في أسرة فقيرة حيث نجد الاسترجاع يتمثل في :

مؤشرات الاسترجاع الخارجي : نشأت، فاحت، تصحو .

موضوعه :تسرد هنا ورد كيف ترعرعت في الصغر

وظيفته :تمثل في كشف ورد عن جانت من شخصيتها وأنها شخصية تتمثل في شخصية محورية بشكل طاغي في الرواية .

تقول ورد في مقطع آخر في الرواية " نسيت أن أخبركم أن عمري آنذاك سبع سنوات ولا صديقة لي سوى هيفاء التي تشعرني بشيء من الاهتمام حينما تزورني وتسأل عني، بعد أن أهملتني والدتي التي أنجبت ثلاث أخوات أخريات بعدي، وقضت معظم وقتها منشغلة بهن ، حينها شعرتُ أننا لعنة على أمي "[2].

يتمثل الاسترجاع في هذا المقطع فيما يلي :

مؤشرات الاسترجاع الخارجي : نسيت، أهملت، أنجبت، حينها .

موضوعه : تذكير ورد اهتمام صديقتها هيفاء بها، واهمال والدتها لها واهتمامها ب أخوتها الثلاثة التي أنجبتهم بعدها .

وظيفته : الكشف عن جانب من شخصية ورد

[1] الرواية ص 10 .

[2] الرواية، ص13.

ب:استرجاع داخلي :وهو عكس الاسترجاع الخارجي وهو استعاد أحداث وقعت ضمن زمن الحكاية بعد بدايتها .

فهو استرجاع يتم من تداخل الحكاية الى داخلها حيث يتحكم في أحداث ترتيب جيد للعناصر الحديثة الموجودة في حيز زماني واحد يرى هيثم الحاج علي "أن هذا النوع من الاسترجاعات يكثر استخدامه في القصة القصيرة ويقل في الرواية يرجع هذا لضيق الحيز الزمني في القصة القصيرة ، والعكس في حالة الاسترجاع الخارجي الذي تستخدمه الرواية أكثر مما تستخدمه القصة القصيرة ومراد هذا أن الرواية بمدها الواسع قادرة على استعاب المدى الزمني البعيد الذي لا تستوعبه القصة "[1].

فنجد أن هذا النوع من الاسترجاع ينقسم الى عدة أنواع منها :

1:الاسترجاع الداخلي غير المنتمي الى الرواية : وهو الذي لا علاقة له بالحكاية الرئيسية يسلط الضوء على شخصية عرفناها في بداية الحكاية ثم استغنينا عنها ليكشف لنا نشاطها وقت غيابها .

وذلك يبعد الاسترجاع عن الحدث الأهم في الرواية المسرودة نرصد أن الرواية استرجاع من هذا النوع حيث نجد أن الراوي يعرف بالشخصية المحورية (ورد) حيث نجد أن ورد تسأل نفسها تقول :

"ما هو العمى ؟ "[2]

" اسمي عفيفة الكفيفة

عمري ثماني عشرة سنة

عمر الظلام ثمانية أعوام .

[1]هيثم الحاج علي، الزمن النوعي وإشكالية النوع السردي، ص73.

[2]الرواية ص 27 .

كل الجدران تعرفني

أحسستها، أعرف كم ثقب مسمار أوجعها وانغرس في حاضرتها أحاول أن أعثر على ظلي، وأبكي حين أجد الظل يسكنني ".[1]

وتقول ورد كذلك :" لا أعرف كيف يتحول العالم الى الرمادية نهارا والسواد فجرا كيف تسرب النور مني ؟

أعيدوا ترتيبي !!

أعيدوني لنفسي

أحتاج الى صوتي

أحتاج عيني

أضيئوا مصابيحكم ... أبصروني من جديد ..[2]!

تقول ورد في مقطع جميل يحمل حكمة ترمي الى البعيد :

"**الأعمى ليس من فقد بصره ..**

كم من مبصر حسبه الناس أعمى

العمى الحقيقي حين تعمى البصيرة لا البصر .."[3]

يتمثل الاسترجاع هنا في صعوبة فقدان ورد لبصرها أي معاناة ورد خلال فقدها لبصرها ومدى صعوبة فقدان النور هنا عرفت الكاتبة بورد و سر معاناتها بعد

[1] الرواية ، ص28.

[2] الرواية ، ص29.

[3] الرواية ، ص30 .

الحادثة التي تعرضت لها وهي فقدان البصر، فهي تقول الأعمى ليس من فقد بصره وإنما من فقد بصيرته .

مؤشرات الاسترجاع الداخلي :أحسست بها، ثقب مسمار، أوجعها، انغرس، بكيت وجدت الظل، أصبحت تسرب .

موضوعه :فقدان ورد لبصرها

وظيفته :اخبارنا عن فقدان ورد لبصرها والأزمات التي واجهتها

2:الاسترجاع الداخلي المنتمي الى الرواية : وهو الذي يجانس موضوعه موضوع الحكاية كأن يتناول حدثا ماضيا أي وقع في زمن مضى للشخصية وفاعلا في سلوكها الحاضر وهو نوعان **تكميلي ومكرر** .

+**التكميلي** : وهو الذي يسد نقصا حاصلا في السرد، أي يعوض حذف سابق فيكون السرد متقطعا منتقلا بين الماضي والحاضر بأحداثها أي كتم معلومات بحيث نجده موظف في الرواية عند قول ورد :

" حنان الأكبر مني سنا كان عمرها آنذاك عشرة أعوام .

كانت توليها أمي اهتماما مختلفا ولا تكلفها عناء مهام التنظيف وتمشيط المنزل مثلنا وعندما تحتج أختي جواهر سليطة اللسان رغم قصر قامتها ونافذة بين أسنانها تتسع كلما تحدثت ، وحين أراها أضحك، فلطالما شعرت بالقرف من لعابها المتطاير وصوتها العالي ".[1]

جاء هذا الجزء من الاسترجاع مكملا لما روته ورد عن حياتها وهي تبصر فكان هذا المقطع مكملا لما سبقه .

[1] الرواية، ص16 .

لقد تضمنت الرواية نوعا من الاسترجاع الذي سد فجوة خلفها السرد وهي حدث طفولة ورد الكفيفة وحينما كانت تبصر في الصغر .

تقول :" ربما يخيل لك الصوت غريبا ... لكن كان مميزا أقلها بالنسبة لي ! كان هادئا لا تفلت أعصابه حينما يهدم أخي محمد قصرنا بأقدامه ".[1]

يتمثل الاسترجاع الداخلي التكميلي في هذا المقطع في :

مؤشرات الاسترجاع الداخلي :كان عمرها ، كانت توليها ، احتجت ، تحدثت ، شعرت، كان هذا، كانت تصبر، خلفها ".

موضوعه : طفولة ورد قبل فقدانها لبصرها وسرد الاحداث التي جرت مع عائلتها .

وظيفته :الحنين الى الماضي وإعطاء معلومات عن ماضي الكاتبة .

كما نجد ورد تقول :

"أذكر أن هناك مفترقا لا ينتصف شعري

حين كنت أرى جانبي تمرد على المفترق الذي تصنعه أمي دائما بمنتصف رأسي

كنت أشعر أن رأسي سينشطر بأية لحظة ليترك مسافة بيضاء واسعة دون دم .."[2]

لقد كان الاسترجاع الداخلي التكميلي مسيطر على الأحداث في الرواية و ذلك من خلال الرجوع الى ماضي حياة ورد أي بالعودة الى طفولتها مع عائلتها بحيث كانت تتحدث عن أخوها محمد المدلل من طرف العائلة باعتباره الطفل الوحيد فب العائلة وحنان الأكبر منها سنا التي تحبها والدتها وأمينة وأختها كفاية الطفلة الصغرى في

[1] الرواية، ص35.

[2] الرواية، ص 66.

العائلة المدللة وورد هي الطفلة العمياء التي لم تعد تبصر بعدما تعرضت إلى حادث في المدرسة وبقائها مع ذكرياتها وهي بين أرفق البيت.

تقول ورد : "عندما حجب الله نور عيني كنت طفلة وقبل أن تزهر روحي أقف حافية عند باب بيتنا أنظر الى أقدامهم، إلى شفاههم، حين تتحدث ولضحكتهم ولضجرهم كنت أنظر إلى كل تفاصيلهم إلا ما عدا أعينهم .

فقدت حبيبتي وما زلت أقف ولم يتغير شيء، كنت أسمع كل ما أود أن أشاهده كبرت وما عادت حلواه تجدي بعد أن صمت الصبية وما عادت العتبات تسمح لي أن أقف عليها، كبرت دون أن أدرك معنى هذا بعد، كبرت كثيرا يا أنا حتى حذائي صار يوجعني حين أنتعله فأبكي، كنت أحتاج أن أبكي على أية حال "[1] .

الاسترجاع الداخلي واضح في هذا المقطع باستعمال الأفعال الماضية حيث أراد الراوي استرجاع معاناة ورد وذلك من خلال فقدانها لبصرها.

كما نجدها وظفت نوعا آخر من الإسترجاعات يتمثل في الاسترجاع المؤلم والسار أي المفرح.

الاسترجاع المؤلم : يتذكر فيه الكاتب ما هو مؤلم في حياة شخصيات الرواية ونجد ذلك موظف في الرواية حيث تذكرت ورد حياتها مع اخوتها وعائلتها وكل ما مرت به من عناء وشقاء وحزن حيث تقول :

"كنت أبتلع غصاتي وكأنها قارورة ماء أفرغت مرة واحدة بفمي.

لم أصل إلى غرفتي ...وجدت نفسي أرتقي عتبات بيتنا ...أهرب إلى السطح، لأعلى مكان كانت تهرب له حنان

[1] الرواية، ص 69.

كنت أحتاج الهواء، أحتاج أن أصرخ مع أذان المغرب ولا يسمعني أحد، أصرخ بقول يا الله!

قبل أن أصل وقبل الصرخة وقبل أن ألقي الآه من صدري ... الآه التي كادت تقتلني

انزلقت رجلي عندما نسيت آخر عتبة

نسيت أن أعدها كما نسيت سنوات عمري وكم مضى منها في انتظار فهد !

تكورت لأسقط متدحرجة

كنت أشعر بقوة سقوطي

بوجع أضلعي

بالتواء كاحلي باصطدام فك وجهي بالعتبات "[1].

لقد تتابعت الاسترجاعات في الرواية وذلك من خلال سرد الاحداث المؤلمة التي مرت بها حياة ورد وتعددت محطات حياتها وذلك من خلال الحرمان والشقاء الذي مرت بها ورد وهي في سن صغيرة ثمن سنوات حرمت من بصرها عاشت حياة مخالفة لحياة اخوتها ومن هم في ندها .

وتتمثل مؤشرات الاسترجاع الداخلي :كنت أبتلع عصاتي ، وجدت نفسي ، كنت أحتاج ، كادت تقتلني ، انزلقت رجلي ، عندما نسيت آخر عتبة .

موضوعه :تذكر ورد ذكرياتها المؤلمة مع فهد وانزلاقها في الدرج

وظيفته : مدى حرمان ورد والرجوع الى ماضيها المؤلم .

[1] الرواية، ص81.

+**الاسترجاع المفرح** : وهو عكس المؤلم حيث يتذكر فيه السارد كل ما هو مفرح وسار في حياته وحياة الشخصيات الموظفة في الرواية ونجد هنا هذا النوع موظف في الرواية تذكره ورد في قولها :" ثم تذكرت تلك الليالي التي أقضيتها لأ تحسسها ولا أهدأ إلا عندما أشعر برطوبة الدم على يدي ".[1]

ثانيا : الاستباق :إن الاستباق هو " مخالفة لسير زمن السرد تقوم على تجاوز حاضر الرواية وذكر حدث لم يحن وقته بعد والاستباق شائع في النصوص المروية بصيغة المتكلم لا سيما في كتب السير، ويتخذ الاستباق أحيانا شكل تنبؤ أو افتراضات صحيحة وهو أنواع مختلفة باختلاف موقع الحدث المستبق في زمن السرد الأولي أي زمن حكاية الراوي الأساسية "[2].

فالاستباق هو تصوير مستقبلي لحدث رئيسي في السرد بأحداث أولية كتمهيد وتنبؤ للقارئ بما يمكنه أن يحدث أي حالة يمكن أن يعيشها القارئ أثناء قراءته للرواية بما تحمله من أحداث أي هو تلميح لواقعة مستقبلية أي الولوج الى المستقبل إنه رؤية الهدف ، أو الإشارة الى الغاية قبل وضع اليد عليها .

"كما يمكننا تقسيمه ‘إلى اثنان :

الاستباق ممكن التحقيق : وفيه يكون الخيال واقعيا ، تكون أهداف الشخصية في الرواية منسجمة مع الإمكانيات المتاحة لقدرات الانسان الحالي،أو لقدرات الشخصية نفسها

[1] الرواية، ص 91 .

[2] لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان الناشرون، الطبعة الأولى، 2002 ص15.

استباق غير ممكن التحقيق :وفيه تسعى الشخصية الى تحقيق ما يفوق قدراتها وقدرات المحيطين بها ويرد في الرواية لتشويق القارئ وكسر توقعاته بأن الشخصية تكاد تصل إلى مبتغاها "[1].

أ الاستباق كتمهيد :وهو ايحاءات أولية تمهد لمجيء حدث ما ، فيما بعد تقول مهى القصراوي :"استباق تمهيدي في السرد لكن أهم ما يميز هذا النوع عدم يقينه ".[2]

فيمكن أن يتحقق هذا النوع من توقعات القارئ في آخر الأحداث ومن هنا نجده في الرواية حين تقول ورد :"قررت أن أكون عمياء، لأعود لوجهي الذي خطفته ووجوههم التي أعرفها

قررت أن لا أخبر أحدا بعودة نظري

لأرى ما خلف ذاكرتي الضيقة

لأرى الظلام الذي لم يكشفوه لي

والندبات التي يخفونها علي كمثل ندبات وجهي "[3].

حيث تشير ورد في هذا المقطع أنها تلعب دور لم تسترجع بصرها لترى ما يدور كل ما يدور حولها حيث بدأت بقص حدث رئيسي يتمحور حوله أحداث ثانوية .

ب الاستباق كإعلان : " هو استباق صريح كون وظيفته الإعلان عن سلسة الأحداث التي سيشهدها السرد في وقت لاحق لأنه إذا أخبر عن ذلك بطريقة ضمنية

[1] أحمد محمد النعيمي،الزمن النوعي و إشكالية النوع السردي، ص40 .

[2] مها حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية، ص213.

[3] الرواية، ص93.

يتحول إلى استباق تمهيدي أي إلى مجرد إشارة لا معنى لها في حينها، ونقطة انتظار مجرد من كل التزام اتجاه القارئ"[1].

" حيث فرق جيرار جينت بين هذين النوعين من الاستباق وعد الاستباق كإعلان صراحة عما سيأتي سرده منفصلا بينما التمهيد بشكل بذرة غير دالة لن تتضح ذات معنى الا في وقت لاحق وبطريقة استرجاعية ".[2]

ونجد هذا النوع من الاسستباقات في الرواية حينما تقول ورد :" كان بودي أن أستمر في النظر اليه لولا استدراكي أني ما أزال عمياء، وقلت : بخير يا محمد بخير حادثة أمس ... !

لا أود أن أتذكر الآن ...

أنا أتعرف على نفسي ..

واليوم هو عيدي قبل العالم أجمع ".[3]

يتمثل الاستباق في هذا المقطع في :

مؤشرات الاستباق : استدراكي، ما أزال، سأخفيها

موضوعه : تتكلم عن سر عودة بصرها

وظيفته : تجاوز حالة القلق التي كانت تسكن ورد .

ج الوقفة الوصفية : يعد الوصف_على" أنه تقنية زمنية فاعلة يحول عليها أبطال و تعطيل وتيرة السرد مما يؤدي الى اتساع زمن الخطاب نتيجة لاستراحة زمنية التي

[1] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 137 .

[2] المرجع نفسه، ص138.

[3] الرواية، ص100.

تضمنها وقفة الوصف بالذات التي تضمنها الوقفة في الوصف بالذات كنتيجة لانعدام التوازن بين زمن القصة وزمن الخطاب "[1].

نجد من المقاطع الوصفية في الرواية التي ذكرتها ورد في الرواية أثناء وصفها لعمتها " عمتي التي فاتها قطار الزواج وأصبح اقتصاص تذكرة العبور فيه أمرا عسيرا جدا حيث كبرت لتصبح غير صالحة للزواج والحب سمينة بصدر متدلي وبطن مستديرة وأطراف قصيرة وعينين جاحظتين تبكي أحيانا ولا نعرف سبب بكائها وهي التي تكرهنا جميعا دون سبب "[2].

كانت ورد هنا تصف عمتها زكية مخالفتا الصفات لها فعطلت هذه الوقفة من سير الأحداث وتقول ورد كذلك :

" كنت أبحث عن وسيلة اقناع بسيطة بحجم طفلة بريئة وهي تظن أنها حيلة استمراض كاذبة كحيلة محمد الذي تصدقه أمي كل مرى .."[3].

لقد قامت ورد هنا بوصف عمتها و محمد بصيغة وصف استذكار وتأمل كانت وظيفة هذا الوصف التعرف على الشخصيات التي ذكرتها .

وأخيرا ومن خلال دراستي الى أهم التقنيات الزمنية الموظفة في الرواية من استباق واسترجاع نستنتج أن السارد للرواية قام بتوظيف الاسترجاع أكثر من الاستباق وذلك راجع الى أن الرواية هي رواية اجتماعية بالدرجة الأولى ، كما نجد أن الاسترجاع الداخلي هو الأكثر شيوعا في الرواية حيث قام السارد باسترجاع أحداث وقعت ضمن زمن الحكاية أي بعد بدايتها .

---

[1] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 179.

[2] الرواية ، ص 12.

[3] الرواية، ص17.

المبحث الثاني: تجليات المكان في رواية أنا قبل كل شيء

أولا :الأماكن المفتوحة في الرواية :المكان المفتوح مكان واسع ينفتح على الطبيعة وتتحرك فيه الشخوص فنجد أن للأماكن المفتوحة أهمية كبيرة في جميع الروايات اذ أنها تساعد على إخراج قيم ودلالات تتصل بالرواية حيث نجد أن الرواية تنفتح على عدة أماكن منفتحة على الطبيعة حيث تختلف هذه الأماكن باختلاف المكان والزمان المتحكم في شكلها فقد نجد في هذه الرواية (أنا قبل كل شيء) بعض الأماكن المفتوحة وذلك بالانتقال من مكان الى آخر وتتجلى هذه الأماكن فيما يلي

أ الأرض :الأرض هي الكوكب الذي نعرف أن علية الحياة وكذلك تدعم الملايين من الأشكال المختلفة من الحياة ، فهي مقسمة الى تربة وماء ، تعتبر مكان مبسط وجزء لا يتجزأ من الوطن حيث نجد ورد قد وظفت هذا المصطلح في الرواية بقولها :

" كل شيء يحدث لسبب ..وحدها هي الأسباب من تجعلنا ننمو بطريقة مختلفة فوق أية تربة وإن كانت غير صالحة للحياة .

نغرس لأنفسنا كبتلات تضرب جذورها بالأرض وترجو المطر ".[1]

من هنا عبرت عن الأرض ب النمو والتربة و البتلات التي تغرس وتنتظر المطر لكي تنمو ، كما نجدها وظفت كلمة الأرض في قولها :

" أضع كفي على رأسي غالبا لأصحو وأجدني أتوسط الأرض الاسمنتية الصلبة وفي الصباح أنفض من وجهي ما علق به ".[2]من هذا القول يتجلى توظيف الأرض في أنها كانت تنام فوق أرض صلبة أي أنها كانت تعيش في معاناة .كما نجدها توظفها

[1] جوهرة الرمال، أنا قبل كل شيء، ص7.

[2] الرواية، ص10.

في قول آخر :" لا أتحسس الجدران ولا أمشط الأرض لأستدل طريقي ".[1]وتقول أيضا " كلما لامس جبيني الأرض في السجود ، اختزنت عيناي بالدموع وملأني خشوع وانكسار ".[2]فالأرض هنا تمثل مكان السجود في الصلاة ، مكان الرجوع الى الله مكان الراحة مكان اخراج المكبوتات .

ب الحي : هو جزء من المدينة يشتمل على مجموعة من المباني والشوارع والطرق ويكون له اسم متعارف عليه وتحيط به غالبا شوارع رئيسية تفصله عن غيره من الأحياء ينفتح عن العالم الخارجي تؤدي وظيفته مهمة أنه مكان مفتوح يستقبل كل فئات المجتمع خاصتا الأطفال .

" يعتبر الحي مكان نشأة الانسان ويعد النواة الأولى للقرية والبلدة و المدينة ، ويعتبر من أماكن الطفولة الأولى وهذه تبقى عالقة في الذاكرة أطول مدة ممكنة لأنها هي البدء وأصول الأمكنة الأخرى "[3].

تقول ورد في الرواية موظفتا الحي :"من هو عيسى يا عمة زكية ؟ ابن الحي القديم "[4] .وكذلك قولها :"عيسى رجل جيد .. هذا ما كان يشهد له الحي بأكمله ..خدوم وله لسان معسول يحبه الجميع "[5].

وتقول :"عندما كنت بعمرك ...تعني 19 عاما ، تقدم عيسى لخطبتي ، كنت أود أن أخبر كل جدران الحي لترقص معي وكل أبوابها لتفتح لعيسى وتستقبله ..."[6]تبن ورد

---

[1]الرواية، ص89.

[2]الرواية،ص138.

[3]شاكر النابسلي، جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1999، ص41.

[4]الرواية، ص48 .

[5]الرواية، ص51.

[6]الرواية، ص52.

هنا أن عندما كان في عمر عمتها تسعة عشر سنة تقدم لخطبتها عيسى وهو أحد أبناء الحي .

" ما كان يهشمني إلا ضحكات صبية الحي المنطلقة ".[1] تقول ورد :"كنت أسمع الزغاريد والتصفيق بالخارج ، أسمع صراخ صبية الحي وصوت المفرقعات النارية "[2]. وتقول كذلك في الرواية موظفتا كلمة الحي :"في صندوقي وجدت رسائل هيفاء صديقة الحي القديم ..وعروسة الصوف الوحيدة التي سرقتها منها، ودعوت الله أن يغفر لي هذا .."[3] تبين ورد في هذا المقطع أن الحي الذي كانت تسكنه هو حي قديم ، وكانت تعيش في عائلة فقيرة لم توفر لها ولو لعبة .

ج القرية :هي مكان يجتمع فيه مجموعة من الناس ويستقرون فيه ، ويكونون فيه مجتمعا خاصا بهم، وعادة ما يكون عدد سكانه يتراوح ما بين المئة والعشرة آلاف ، سكان القرى قد يكونون من قبيلة أو عشيرة أو عائلة واحدة ، وقد يكونون من عدة عائلات، تعتبر من أبرز وأجمل الأماكن في جماليات المكان فكانت في رواية (أنا قبل كل شيء) تمثل المكان المعزول والذي يتجسد فيه الفقر من الأماكن البسيطة فهي مكان يتجمع فيه الناس ويستقرون به ، فهي جزء من المدينة ، فنجدها قد وظفتها ورد في الرواية بقولها :" نشأت في قرية صغيرة رائحة الطين تفوح من جدرانها .

تراب طرقاتها بين أظافري وضفيرتي ."[4].

تشير هده العبارة إلى أن القرية التي كانت تعيش فيها ورد هي قرية صغيرة طرقاتها ومنازلها مبنية من طين .

---

[1] الرواية، ص69.

[2] الرواية، ص88.

[3] الرواية، ص108.

[4] الرواية، ص9.

وتقول أيضا :"علمت بعدها أنها تعاني من مرض (التوحد) ولكن هناك في القرية لا يوجد من يشخص حالها أو على أدنى تقدير يعرف كيفية التعامل معه "[1].

هنا صورت لنا المرض الذي تعاني منه أختها وعدم وجود أي طبيب في القرية يشخص هذا المرض .

وتقول كذلك :"قريتنا تحكمها عادات و تقاليد ربما نتشابه بها مع الجميع .

تبدأ الاعراس مبكرا لتعلن عن الفرح وتخبر الجميع أن اليوم هو للأكل . "[2].

تقول هنا ورد أن القرية التي تعيش فيها جميعهم قائمون على نفس العادات والتقاليد وخاصتا في الأعراس .

وتقول كذلك : " الفقر الذي كان يحوم حول قريتنا ، وبعدها عن المدينة والخدمات كل هذا أجبر حنان على أن تنشأ وتحمل مرضها ليكبر معها ."[3].

تبين ورد هنا أنها نشأت هي وعائلتها في قرية صغيرة فقيرة بعيدة عن المدينة محتاجة الى أدنى المراق والخدمات .وتقول كذلك :"حتى انتهت قصة الحب سريعا عندما خطبت للتاجر الأسمر الذي يأتي بقطع الحرير للقرية، وساقها والدها كبهيمة ملفوفة بقطعة حرير له ".[4] تبين ورد في هذا المقطع أن القرية التي كانت تعيش فيها هي قرية معزولة عن كل شيء .

د السطح :يعتبر السطح من الأماكن المفتوحة، فنجد ورد ذكرته في الرواية بصفة عامة، فهو فضاء يتجلى في كل شيء ممكن نجدها تقول :"لم أصل الى غرفتي

[1] الرواية:ص16.

[2] الرواية، ص111.

[3] الرواية، ص70 .

[4] الرواية، ص19.

وجدت نفسي أرتقي عتبات بيتنا ...أهرب إلى السطح ، لأعلى مكان كانت تهرب إليه حنان

كنت أحتاج الهواء، أحتاج أن أصرخ مع أذان المغرب ولا يسمعني أحد، أصرخ بقول يا الله ".[1].

تبين هنا ورد أن السطح هو المكان الذي كانت تشعر فيه بالارتياح وتتنفس فيه فهو المكان الذي كانت تحاور فيه نفسها ولا أحد يستطيع سماعها، هو الملجأ الذي تهرب اليه حيث كانت تهرب حنان، كانت تهرب من الواقع باحثتا عن الأمان، كما أنها كانت تصرخ وتطلب الله، فقد اعتبرت ورد السطح المكان الوحيد الذي يتنفس فيه الانسان بعيدا عن عائلتها وكل الأشخاص .

وتقول كذلك :"كانت تمسك بيدي بقوة ، وكأنها ستأخذني معها كما اعتادت أن تصحبني من غرفة الى غرفة ..

من المطبخ الى السطح .."[2].

تبين هنا ورد كيف كانت أختها تصحبها معها الى السطح الذي اعتبره مكان للتنفس والترويح عن النفس بعيدا عن جميع الناس .ونجدها تقول كذلك :"أظن أن جواهر جعلتها تحرس لها مدخل الدرج الجانبي ، لتلتقي مع سعيد من سور السطح القصير فهي تمضي نصف يومها هناك .."[3] تكشف ورد هنا كيف كانت عمتها لتقي مع سعيد في السطح وتأخذ حنان معها لي تحرس لها، فالسطح هنا يمثل مكان الهروب من الواقع .

[1] الرواية، ص81.

[2] الرواية، ص72.

[3] الرواية، ص36.

هـ الشارع : هو طريق عام ممهد يظهر فقط في مدينة أو بلدة وليس في المناطق الريفية وعادة ما توجد متاجر أو منازل على جانبي الشارع ، يعتبر أهم عنصر من عناصر المدن ، فنجده قد احتل في الرواية العربية من قبل الروائيين الذين كتبوا روايات عن المدن العربية مكانا بارزا ، وكانت له جماليته المختلفة باعتباره مسار وشريان للمدينة "[1].

يعد أبرز الأماكن في المدينة يستقبل كل فئات المجتمع تكون لهم حرية التنقل فيه فنجد رواية (أنا قبل كل شيء) تم توظيف فيها هذا العنصر من خلال قول ورد "كنت أنظر إليه وكأنه بالأمس حين كان يمسك بيدي ، ويعبر الشارع خوفا علي وعلى أخواتي من السيارات .."[2].

تبين ورد أن المدرسة التي كانت تدرس فيها هي وأخواتها موجودة في المدينة ،فالشارع هو جزء لا يتجزأ من المدينة و أبرز أماكنها .

و السماء :تعرف السماء بأنها ما يقابل سطح الأرض للأعلى وبذلك تكون قد شملت الكثير من أجزاء الكون ، لكن يمكن أن نقول أنها المنطقة التي تقابل سطح الأرض وذلك من مستوى سطح البحر، فهي جزء كوني اتجاه الفضاء الخارجي، تعتبر من الأماكن المنفتحة على سطح الأرض، كما نجد توظيفها في الرواية تقول ورد :"الحياة بسيطة عنما تبدأ بنا تتسع لكل شيء حتى لأحلامنا العالقة بالسماء "[3].

وتقول أيضا واصفتا حالتها "أتنفس بعمق حين أرددها ، أغمض وأفتح ذراعي للسماء أنا لا أحتضن ذاتي لأني لا أخاف ضياعي من جديد "[4].

---

[1] شاكر النبسلي، جماليات المكان في الرواية العربية، ص65.

[2] الرواية، ص125.

[3] الرواية، ص138 .

[4] الرواية، ص141.

من هنا يتبين أن السماء متعلق بأي دعاء ندعوه بالتضرع الى الله تعالى بمناجاته في طلبه في الدعاء الذي بصعد الى السماء الى رب الخالق وأنه سيصل اليه .كما نجدها توظف هذا المصطلح في قولها :"أمينة أصبحت تلك الشماعة التي علقنا عليها أماني ثقيلة جدا كنت أخاف أن تهوى باتجاه الأرض لا باتجاه السماء .."."[1] وتقول ورد في الرواية :"من مثلي يحب رائحة الفجر ويشعر وكأن صفحة بيضاء تتدلى له من السماء، يكتب كل أمانيه ومشاريعه دون كلام ودون حرف .."."[2] فالسماء بالنسبة لورد هنا من تكتب عليها الأماني وتتدلى منها رائحة الفجر النظيفة المريحة .

ز **البحر** :هو تجمع كبير للمياه المالحة، يتصل بالمحيط أو على البحيرات المالحة غير المتصلة بالبحار أو محيطات أخرى ، كما يقصده الناس للتنزه والإبحار والاستمتاع بمناظره الخلابة التي تروح عن نفسية الشخص ، توظف ورد هذا المصطلح في الرواية تقول :"لقد وصلنا الى الشاطئ ، مشيت ببطء نحوى البحر كان شعور عظيم ينتابني لحظتها، طفلة صغيرة وثرية بالأحلام تحمل الدهشة "[3].

تذكر هنا ورد البحر وما يعطيه من راحة نفسية للشخص ، كما نجدها تقول :"رمال الشاطئ باردة رطبة . "[4] وتقول في موقف آخر : كان شعري يغطيه الرمل وحواف فمي وأيضا رمش عيني .كانت تنفض العالق من الرمل في شعري وتمسح وجهي بيدها ..."[5].

---

[1] الرواية ، ص42.

[2] الرواية ، ص184.

[3] الرواية ، ص33.

[4] الرواية ، ص33.

[5] الرواية ، ص35.

فالبحر هنا يمثل مركز الحياة بفرحها وحزنها وهدوءه الخلاب يحس الشخص براحة وطمأنينة ومكان للتنزه ومكان للهدوء والراحة .

ثانيا الأماكن المغلقة :لقد أدت الأماكن المغلقة دورا كبيرا في الرواية فهي فضاء تتناقل فيه الشخصيات لتشكا أحداثا متنوعة عبر فترات زمنية تقول حفيظة أحمد "اذا تؤدي الأمكنة المغلقة دورا محوريا ، وقد تتفاعل هذه الأمكنة المغلقة مع الأمكنة المفتوحة بإيجابياتها وسلبياتها ، فتبدوا هذه الأمكنة المغلقة مليئة بالأفكار والذكريات والآمال والترتيب، وحتى الخوف من التوجس "[1].

فهو ينتج عدة علاقات قد تكون منظمة أو عشوائية داخلية أو خارجية وقد عرفت الأماكن المغلقة بأن " لها دور بارز في رسم الخط العام في الفعل القصصي ، مثل البيت الذي نجد فيه الشخصيات حريتها الكاملة فيه ، فالعلاقة تبدأ بين الانسان والبيت ، من لحظة ميلاده وتطوره وتفاعله "[2].

وهذا المكان مؤطر بالحدود الهندسية والجغرافية التي تكشف عن الألفة والأمان .

والأماكن المغلقة لعبت دورا كبيرا في رواية (أنا قبل كل شيء) من خلال تعرفنا على الحياة الداخلية للشخصيات الموجودة في الرواية نجد على سبيل المثال :

أ البيت أو المنزل :هو المكان الذي يعتاد الانسان أن يبيت فيه ولا يشترط أن يكون مبنيا

فالبيت هو المكان المغلق يحمل دلالات مزدوجة سلبية و إيجابية ، يعني في الغالب الأمان والطمأنينة ، فهو يختلف عن غيره من الأماكن ، كما في الرواية يجسد البيت

[1] حفيظة أحمد، بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية، ص134.

[2] حسين علام، العجائبي في الأدب من منظور شعرية السرد، الدار العربية للعلوم، بيروت الطبعة الأولى، د ت، ص 38.

في قول ورد :"أذكر بائع الحلوى الذي كان يمر بباب بيتنا ، ويصدح عاليا ".[1]وتقول كذلك :" عندما حجب الله نور عيني كنت طفلة وقبل أن تزهر روحي . أقف حافية عند باب بيتنا أنظر الة كل شيء وكأني أحفظ وجوه المارة "[2].

وتقول :"كان ينظر إليها بعين حزن ويخاف عليها ، ربما وجد أن وجودها في بيت أبي فهد هو الشيء الوحيد الذي يجعله مطمئنا اذا غيبه الموت ...[3].

فالبيت هنا يمثل كينونة الانسان، فهو المكان الذي يقيم فيه المرء وتقول كذلك في الرواية :"لم تلبس حنان ثوبا أبيضا ، هذا ما أخبرتني به عمتي زكية، فقط عباءة سوداء لتنقلها من بيت والدها الى بيت زوجها "[4].

تقول :" و رائحة الوسائد والسجاد تتكدس على رأس أنفي ..كتكدسها أمام بيت أبي فهد .. "[5] وتقول :"ذاك اليوم الذي كنت أنتظر فيه أمينة تعود من بيت جدتها، أقف خلف الباب ..."[6]

" عمتي زكية تحمل بيدها غصن ريحان، تخرج من الباب كل يوم تنوي الذهاب الى بيت عيسى لتضعه على مقبض الباب وتنهي حكاية لم تنتهي ".[7]وتقول في توظيفها في مقطع آخر للبيت :"كان شرط والدته لترضى عنه، أن يعيد ابنته أمينة لأحضانه لتحيا ببيت والدها وبين إخوتها"[8].

---

[1] الرواية، ص9.
[2] الرواية، ص69.
[3] الرواية، ص 71.
[4] الرواية، ص72.
[5] الرواية، ص107.
[6] الرواية، ص109 .
[7] الرواية، ص131.
[8] الرواية، ص 134.

فالبيت في هذا المقطع تبين ورد أنه مكان النشأة والحياة والحب بين أفراد الاسرة .

تقول :"أخذتني الى البيت القديم ورائحة العجين وصوت بائع الحلوى وصراخ أطفال الحي، وإلى كل الجدران التي اشتقت ملامستها ولم تشتق لكفي بعد .."[1].

فالبيت عندها في هذا المقطع يدل على البساطة ن والعودة والحنين الى القدم والحياة القديمة في ذلك البيت وكذا توظيفها للمنزل فنجد قولها :" شققت الصفوف ورائحة الزحام ، لأعود الى المنزل أحمل غصة ،أنوي الخلاص منها، ووجعها أنوي ولادته ".[2] وتقول كذلك :" أنا هنا في منزلنا و بوسادة كاملة تحت رأسي ".[3]فالمزل عند ورد هو الذي شهد مراحل حياتها التي مرت بها منذ فقدانها لبصرها .

ب الغرفة : هي الحيز في المكان أو المبنى، تستخدم لشتى الأغراض . الغرفة أحد وحدات المنزل، وقد تكون مخصصة للنوم، أو الجلوس أو مضافة، تستعمل في العديد من الأغراض، نجدها موظفة في العديد من المواضع في رواية (أنا قبل كل شيء) نجدها تقول :"دخلت أمي الغرفة وأنا أركل الغطاء من فوقي، أجعله يتكوم عند أرجلي وأتكور حول نفسي متظاهرة بالبرد"[4].

وتقول :"حتى تعثرت ووقفت من جديد ، وواصلت بسبحتي الى الغرفة كنت سأطير في أي لحظة تترك يدي ، لهذا كنت أمسك بها جيدا "[5].

---

[1] الرواية، ص173.

[2] الرواية، ص114.

[3] الرواية، ص23.

[4] الرواية، ص31.

[5] الرواية، ص 47 .

كما قالت بذكرها الغرفة :"كان كل شيء في الغرفة يتحدث ".[1]وتقول ورد في مقطع آخر :" هل تذكرين قصر الطين و الكفين السمراوين العريضين .. والغرف التي حلمت بها..؟"[2].

" كانت تمسك بيدي بقوة ، وكأنها ستأخذني معها كما اعتادت أن تصحبني من غرفة إلى غرفة ..."[3]. تصف هنا ورد كيف كانت عمتها تمسك بيدها وتأخذها من غرفة الى غرفة . وتقول أيضا :"لا أعرف أين غرفتي وأين هي الجدران التي طالما كانت دليلي ...لم أصل الى غرفتي .. وجدت نفسي أرتقي عتبات بيتنا ... أهرب الى السطح لأعلى مكان كانت تهرب له حنان ".[4]. تبين ورد هنا أن بعد فقدها لبصرها لم تعد تعرف الغرفة ولا جدرانها تقول أنها كانت مربوطة الأرجل .

وتقول :" لا أتحسس الجدران ولا أمشط الأرض لأستدل طريقي، أتعثر برؤوس إخوتي الصغار النائمين في الغرفة بجانبي ، كيف نسيت هذا "[5] .تبين ورد هنا أنها كانت تنام هي وإخوتها الصغار في غرفة واحدة حيث كانت تعبر فوق رؤوسهم لأنها لا ترى . وتقول :"ينظر محمد باتجاه الغرفة ينظر الى عيني مباشرة "[6].

وتقول ورد كذلك في الرواية :"دخلت غرفتي لأنها حكاية عمر ..وأعيد لنفسي بعضا منها ..توضأت و كأني للمرة الأولى أغسل أطرافي [7] .تقول ورد أن غرفتها حكاية لأنها منذ أن فقدت بصرها وهي محشورة بين جدرانها .

---

[1]الرواية، ص51.

[2]الرواية، ص61 .

[3]الرواية، ص72.

[4]الرواية، ص81.

[5]الرواية، ص89.

[6]الرواية، ص99.

[7]الرواية، ص115.

تقول :" أقف أمام حنان وهي منهكة في الخياطة، وأتخيل أنها أمي، ثم أخرج من الغرفة، وأقف عند الباب و أطرقه ، أطل برأسي أوه لقد نسيت كيف أطل برأسي وأنا عمياء "[1] .

"أسمع صوت عمتي ومحمد وأخوتي ...يااااااه الضجيج عال ..نحوى الغرفة قافلة أقدامهم تسير .. بل تركض..".[2]تبين ورد هنا ردة فعل عمتها و إخوتها عندما عرفوا أنها تبصر من جديد وكيف ركضوا نحو غرفتها .

كما نجدها ذكرت هدوء غرفتها وما نحمله من أشياء تقول :"هدوء غرفتي وضوء شمعة وكوب قهوة ، هل هذا ما أحتاج لأكتب الرواية ؟ عن ماذا أكتب؟ ... لهذا مصباح غرفتي المعلق فوق رأسي سيضيء دوما "..[3].

لقد جعلت ورد من غرفتها المكان الذي تستلهم فيه الأفكار وهدوئها يساعدها على الكتابة والتعبير حتى تجعل من حياتها رواية يستفيد منها الجميع .

ج المدرسة :هي مؤسسة تعليمية يتعلم فيها التلاميذ الدروس بمختلف العلوم وتكون الدراسة بها عدة مراحل وهي الابتدائي والمتوسط والثانوي ، تعد من أهم الركائز والهيئات في المجتمع التي لها وظيفة مهمة في تنشأة الأجيال، وتعلمهم وتطوير قدراتهم وتربيتهم واخراجهم في لبنة جيدة في جميع المجالات ، فهي تعمل الى جانب الأولياء في التنشأة الاجتماعية للطفل وزرع جميع القيم الإنسانية في الطفل حيث نجد رود قد وظفتها في الرواية وبكثرة تقول ورد في الرواية :"عمتي (زكية) تنادي

[1] الرواية، ص143.

[2] الرواية، ص145.

[3] الرواية، ص170.

علينا بصوت جوهري فضفاض، تنظم وقتنا كطابور مدرسي نلتزم به الأدب ونحبس حتى الأنفس "[1].

تبين هنا لنا ورد دور المدرسة في تنظيم التلاميذ وذلك من خلال تنظيم الوقت وكذلك تنظيم الصفوف من خلال ذكرها للطابور .

وتقول كذلك ورد بذكرها للمدرسة :"وقد كانت تراودني فكرة اصطحاب لحافي الى المدرسة لولا أن أختي الصغيرة تشاركني إياه "[2].

وتقول :" أتحسس مكاني ، لست على مقعد المدرسة ، أنا هنا في منزلنا وبوسادة كاملة تحت رأسي ".[3] تبين هنا ورد أن المدرسة فيها مقاعد يجلسون عليها للدراسة .

وتقول ورد في الرواية :" وأخيرا جاء هذا اليوم .. كنت أستعد له وكأنه يوم دراستي الأول ..وصلت الى بوابة المدرسة .. لم تتغير طوال هذه السنوات وحده وجه العم كمال حارس المدرسة هو من تغير حتى الصافرة التي في فمه صارت ترتجف كثيرا قبل أن يطلق الهواء المتقطع بها .."[4].

تصف ورد هنا مدى تشوقها الى العودة الى مقاعد الدراسة وانتظارها لوصول هذا اليوم وهو العودة الى المدرسة تقول انه لم يتغير شيء فيها الا حارس المدرسة الذي كبر .

[1] الرواية، ص12.

[2] الرواية، ص17

[3] الرواية، ص 23.

[4] الرواية، ص125.

وتقول في الرواية :" دخلت الى المدرسة ومعي شهادة الأمل من العم كمال، الشهادة التي تهبها لك الحياة على هيئة رسائل بأشخاص ".[1] تبن ورد هنا أنها دخلت الى المدرس بأمل وتفاؤل تحمل شهادة حارس المدرسة الذي دعمها .

وتقول كذلك :"صباح جيد، ويوم آخر، أشعر أن الشمس للمرة الأولى تخترق عيني لتدعوني للاستقاظ بالطريقة التي تجعلني أقفز فوق سريري كطفل يحدث ضجيجا ليسعد نفسه، إنه اليوم الأول في المدرسة ".[2] تصف هنا ورد مدى سعادتها وهي ذاهبة الى المدرسة في يومها الأول .

وتقول ورد في الرواية :" في الطريق الى المدرسة المتوسطة .. كنت أدعو الله كثيرا دعوات مختلطة ما بين رجاء وقلق، وما بين يقين وأمل "[3] .تصف لنا ورد حالتها وهي في طريقها الى المدرس وكيف كانت تدعو الله وهي في حالة قلق وأمل فيه .

وتقول في الرواية من خلال توظيفها للمدرسة :"حائط مدرستي ممتلئ بالعبارات التحفيزية وأيضا اللوحات الارشادية . الامتحانات اقتربت والمناهج على وشك أن تصل الى الورقة الأخيرة "[4]. تصف لنا ورد هنا كيف تزينت مدرستها باللوحات والعبارات التحفيزية وهي في اخر العام الدراسي .

د المسجد :وهو الموضع الذي يسجد فيه ،وكل موضع يتعبد فيه ، وهو من بيوت الله تعالى المتخذة للعبادة تقام فيه الصلوات الخمس المفروضة ، وتقام فيه شعائر الله أي كل العبادات من صلاة و قراءة قرآن وتعليمه ، فنجد أن ورد قد وظفته في

[1] الرواية، ص127 .
[2] الرواية، ص151.
[3] الرواية، ص155.
[4] الرواية، ص186.

الرواية لقولها :" مع كل أذان مغرب كنت أستمع دعوات أمي تبتدأ بمحمد وأن يرزقه الله بزوجة صالحة لا تنزعه منها، ثم تنخرط الدعوات الباقية "[1].

تذكر هنا ورد أن في كل أذان مغرب كانت تسمع أمها وهي تقوم بالدعاء لأخوها محمد ولجميع أفراد الأسرة .

وتقول كذلك :" صوت أذان المغرب :

الله أكبر

وبداخلي أبكي يا الله

الله أكبر

وأنا يا الله "[2]. تبين هنا ورد أنها مع سماعها لأذان المغرب تناجي الله، تبكي وتدعوه أن يرى حالها وهي ساقطة من الدرج .

وتقول :"تصيح المآذن مكبرة لصلاة الفجر، ينتفض صدري كلما سمعت صوت الحق وكأنه نداء لروحي يجعلني أغتسل من كل وجع وخيبة وأعود لأحيا من جديد من الصعب أن أفوت هذه الراحة "[3].

تبين ورد هنا أنها كلما سمعت آذان الفجر شعرت بالراحة وعدم الخذلان، تقول أنها تحيا من جديد فللفجر راحة نفسية وجسدية لا يعرفها إلا قائمها .

هـ المطبخ: وهو المكان المخصص للطبخ ، فهو غرفة يتم فيها طبخ الطعام وتحضيره وتقديمه فهو بمثابة قلب المنزل، نجد ورد وظفته في الرواية تقول :"كنت

---

[1] الرواية، ص74.

[2] الرواية، ص83.

[3] الرواية، ص 183.

أقف مرارا عند باب المطبخ ، وأسمعها تنشد أشعارا وتتوقف لتتنهد، ثم تعاود كرة الغناء بصوت رخيم متقطع ".[1]

تبين هنا ورد حالة والدتها وهي منهمكة في المطبخ تعد لهم الوجبات وشدة تعبها .

وتقول أيضا : قبل أن نرحل كان كل منا يودع أحبابه وكأنه فراق أخير ، أمي تودع جاراتها ومطبخها، وعجوز الحي التي كانت تقضي جل يومها تحكي لأمي وتبكي ".[2] تصف هنا ورد حالة رحيلهم من الحي وكيف كانت تودع أمها الجارة والمطبخ الذي كانت منهمكة فيه طوال اليوم .

وتقول :"كنت أود أن أنظر الى وجه أمي ، ها هي هناك ، تقف ولا أرى إلا ظهرها قامتها الممشوقة كما هي، لا تزال تحضر وجبة الإفطار "[3]. تبين هنا ورد أن أمها كان كل وقتها في المطبخ تحضر لهم الوجبات .

و الجامعة : هي مؤسسة للتعليم العالي والأبحاث ، تمنح شهادات أو إنجازات أكاديمية لخريجيها ، فيفيها يجتمع الناس للتعليم فنجد ورد وظفت الجامعة في الرواية في قولها :"صبور وبار بوالديه الذي يعمل معه بمحمل الحدادة مساء، ويذهب الى الجامعة صباحا حيث كان يحلم أن يكون مهندسا ووالديه أيضا "[4].

تبين ورد هنا أن عيسى كان يدرس في الجامعة التي هي مكان تحقيق أحلامه وحلم والديه أن يصيرا مهندسا .

ز العيادة : هي منشأة يشغلها طبيب أو مجموعة من الأطباء لعلاج المرضى يمكن أن تكون جزء من المستشفى أو مستقلة عنه ، نجدها موظفة في الرواية بقول ورد

---

[1] الرواية، ص14.

[2] الرواية، ص131.

[3] الرواية، ص98.

[4] الرواية، ص51.

"في كل مرة أذهب مع حنان أو مع أمي الى العيادة ، أظل أنظر الى الميزان وكأنه شيء فقد مني ووجدته، أتوقف للوقوف عليه وأخاف تطفلى "[1]. تبين ورد هنا أن كان سبب زيارتها الى العيادة هو مرض أختها حنان أو والدتها كانت كلما ذهبت معهم تصعد فوق الميزان ، لأنها كانت تعاني من السمنة كانت ترغب في فقدان الوزن.

وأخيرا ومن خلال دراستنا للمجموع الأماكن الموظفة في الرواية من أماكن مفتوحة وأخرى مغلقة أنه تم توظيف الأماكن المغلقة بشكل كبير في الرواية وهذا راجع تعرفنا على حياة ورد الداخلية من ذكريات التي كانت تعيشها داخل المنزل متنقلة بين غرفه حاملة معها ذكريات وآمال وآلام وحزن وفرح وخوف ويقين وغيرها كانت تقريبا كل الأماكن التي ذكرتها ورد في الرواية هي أماكن مغلفة محصورة في البيت وأرجائه .

[1] الرواية، ص 163.

الملحـــق

ملخص الرواية :

تحكي الرواية قصة (ورد) الاسم الذي اختارته لها والدتها، ولم يناديها والدها به بل كان يناديها عفيفة هو اسم امرأة كان يحبها ، سنوات عمر ورد تمر بسرعة وكل يوم يشبه اليوم يليه إلى ان جاء ذلك اليوم الذي تغير فيه حالها، وأصبحت ورد كفيفة بسبب حادث مرور مدرسي وقع لها ولي معلمتها وحارس المدرسة أثناء نقلها الى المستشفى، فتوفيت المعلة في هذا الحادث وبترت يد الحارس أما ورد فقد فقدت بصرها، نعم فقدت عيناها و نافذتها للحياة، أصيبت بالعمى وهي لا تدرك حتى ماذا يعني العمى وهي في سن ثماني سنوات، ها هي الآن ثماني عشر عاما وعمر الظلام ثمانية أعوام .

كل الجدران وتفاصيل الأماكن تعرفها وكل شيء أصبح بلون واحد، هنيء مصابيحكم ... أبصروني من جديد .

كثير في حياة ورد ، قد تغير بعد أن أصبحت كفيفة حتى الدراسة تركتها ... فلا مكان للكفيفة ، هناك ورد التي تحب فهد تلتقي خبر زواجه من فتاة أخرى فتصاب بالذهول وتمشي ، وكأنها عمياء للمرة الأولى ، حتى انزلقت قدمها متعثرة بالعتبة فقد نسيت عندها، كما نسيت سنوات عمرها، وكم مضى منها وهي تنتظر فهد، فقد مرت بحالة إغماء ولكن ها هي تفتح عيناها لتجد الألوان من جديد ، تبشرها بعودة النور لكن ورد أصبحت خائفة من أن تمسح على عيناها فتعود عمياء ، تخاف أن تصحوا من حلم اليقظة هذا لتعود الى الظلام لم أعد تمثالا خشبيا أن أبصر الأن قررت ورد أن تخفي حقيقة عودة بصرها حتى ترى ما خلف ذاكرتها الضيقة و ترى الظلام الذي كشف لها تقول " موجوع أن تكون تمثالا و عيناك تبصران" الايمان بها يخرج عالم محطم الى النور الآن أصبحت ورد تعيش سلاما روحيا ، وبدأت بترتيب نفسها و كأنها ورقة مزقت قبل أن يكتب عليها أي شيء بدأت تلصق بقايا روحها كأنها قطعة ثمينة وتهتم بنفسها تقول في الرواية "كل عام وأنا بخير ومبارك مولودك من جديد

"بداية التعثر .أصبح الآن عمر ورد عشرون عاما ، لكن هذا العمر لم يكن عائقا أمامها لتلتحق بالمدرسة مجددا حتى تكمل حيث توقفت فقد كانت ترغب بالحصول على شهادة ابتدائية، ورد تؤمن أن البدايات لها لذاتها الخاصة رغم أنها مرهقة .

ها هي ورد تضع يدها على مقبض الباب بعد أن صار مناسب لحجم يدها بعد أن كان كبيرا عليها، تعلمت ورد كيف تجمع بين كل صدمة و كيف تقيم اعوجاجها ، وكيف تركض بساق عوجاء رغم كل الظروف ورد تقف من جديد، ورد أعلنت وجودها بالتحدي الذي جعلها تصفق لنفسها بعد كل مرة تنجز فيها واجبا .

تقول النظرات ما عادت تحمل سهما ساما ،والضحكات الساحرة تحولت لنسيم صباحي راضي " أصبحت صديقة الجميع حينما قررت هذا ..."هذه حياة ورد بعد أن قررت أن تكون لنفسها وأن تتعلم من كل حجر تعثرت به ولم يكسر ساقها .

لدى ورد العديد من المشاريع الصغيرة تود أن تنجزها كحلم كبير يدفعها لترقى بذاتها وطموحها، غدا ورد لم تستسلم هذه الرواية لمعلمتها ولكن :" أعرف ماذا أختار لها عنوان حرت كثيرا و لكن هذه اللوحة المعلقة فوق رأسي تناسب كثيرا " (أنا قبل كل شيء) هذه الرواية تستحق أن يقرأها كل شخص تعثر في حياته وقفت في وجهه صعوبات عثرات مشاكل في الحياة وظروف الزمان .

نبذة عن الجوهرة الرمال : تعتبر من المؤلفين العرب حيث قامت بأليف العديد من الكتب والمقالات و الروايات ، انتشرت جميع هذه المؤلفات في الوطن العربي ، زمن أهم هذه الروايات التي قامت جوهرة الرمال بتأليفها هو كتاب أنا قبل كل شيء وهي رواية تتحدث عن الحياة ليست قصة نرويها ونختار أبطالها ونكتب لها نهاية سعيدة أو عادلة : فلكل منا حياته الخاصة بفصولها واختلاف أقدارها ، وكل ما يصيبنا هو درس يعلمنا تعاملنا مع الأقدار على أنها حكمة الهية ، سوف تنجينا من الوقوع في هاوية النهاية السحيقة ، وكذلك فكل شيء يحدث لسبب ، ويمكنك وحدك أن تتعرف على الأسباب من تجعلنا ننمو بطريقة مختلفة ، وفوق أية تربة وإن كانت غير صالحة للحياة، كما يمكنك أن تقوم بغرس أنفسنا كبتلات تضرب جذورها بالأرض وترجو المطر، ويمكنك أن تقوم بالتعرف على نفسك أينما كنت، ولا تقبل أن يجعلوا منك شخصا آخر، وتعتبر هذه الرواية من أكثر الروايات شهرة وانتشار حيث لاقت رواجا، واعتبرت من خلالها المؤلفة الجوهرة الرمال من أكثر الرواية قراءة ، حيث يتابعها العديد في الوطن العربي وفي دول الخليج وغيرها، لما تتمتع به رواياتها من ملامسة للقلوب .

من أهم مؤلفاتها : قامت جوهرة الرمال بتأليف العديد من المؤلفات و الروايات الجميلة ومن أهمها رواية حبيبتي بكماء والتي تتحدث عن حالة البكماء حسا وواقعا في الرواية ، وكذلك رواية أنا قبل كل شيء والتي تتحدث عن الفتاة العمياء الكفيفة بمعاناتها و ظلمها و كأنها تقص الأحداث بصدق وحزن وابداع، فالذي يقرأ هذه الرواية يحب الايمان التي يتمثل في البطل ، فهي قد أبصرت وأوحت لنفسها بأنها هي قبل كل شيء ، وأن من كان مع الله فان الله سيكون معه، وقد أبدعت جوهرة الرمال في هذه الرواية بشكل رائع ومميز وأعلنت أنها ستكون صديقة لكل من يقرأ كتابها، وكذلك من مؤلفاتها الأخرى نجد رواية الحجرة الزرقاء الدامية والتي تتحدث عن عقدة الذنب وما يحدث نتيجة تملك هذه العقدة من الانسان وكيف يتصرف معها

وكذلك روايات الاحلام والتي نالت شهرة كبيرة نشرها وتوزيعها وترجمتها في الوطن العربي والعديد من الروايات والكتب الأخرى الشهيرة بشكل كبير .

خاتمـــة

خاتمة :

وفي ختام بحثي هذا المتواضع اتضح لي أن دراسة المكان والزمان لها أهمية كبيرة في جميع الدراسات الأدبية والعمل الروائي وذلك من خلال انسجامها مع الشخصيات وسير الأحداث في الرواية .

ومن خلال هذه الدراسة لدلالة الزمان والمكان في رواية أنا قبل كل شيء توصلت في نهاية هذا البحث الى مجموعة من النتائج تتمثل في :

+ يعد الزمان أحد المكونات السردية التي تقوم عليها الرواية وتنقسم الى عدة أقسام

+ نجد أن الترتيب الزمني في الرواية قد شهد عدة مفارقات زمنية سواء أكانت استباقا أو استرجاع .

+نجد أن زمن السرد جاء لإبطاء السرد في الرواية الذي شغل مساحات كبيرة في الرواية .

+الزمن ركيزة أساسية في كل نص ، وذلك أن كل نص روائي يتضمن زمنين خطي و معتعدد الأبعاد لا يتقيد بالتتابع الخطي للزمن وهذا ما يؤدي الى المفارقات الزمنية

+ما نلاحظه في عنصر بنية الزمن غلبة الاسترجاعات في الرواية التي تؤسس لمبدأ العودة الى الماضي و الهروب من الواقع .

+ كان الزمن ذا حضور فاعل خاصة وأن الروائية قد استطاعت أن تحوله الى مادة تشكلها كيفما شاءت، مما جعلها تنجح في خلق وبعث وتحريك الزمن .

+لقد شهد مستوى الترتيب الزمني في الرواية إنكسارات مختلفة من خلال ما يعرف بكسر خطية الزمن .

أما بالنسبة للمكان فقد توصلت إلى النتائج الأتية :

خاتمة

+ يعد المكان عنصر أساسي في بناء النص السردي .

+إن العلاقة التي ينسجها المكان مع باقي العناصر السردية الأخرى تساعد على استحضار الأحداث والشخصيات .

+ ابداع الكاتبة في تصوير المكان بكل دقة مبينتا أثر المكان في سير الأحداث في الرواية ، تدقق أن المكان هو من يصنع الشخصية .

+ جرت أحداث الرواية في فضاءين واحد مفتوح و الأخر مغلق كان لكل فضاء منهما دور مهم في سير أحداث الرواية .

+لقد جاء المكان في الرواية على أنه عنصر ضروري و حيوي محققا التلاحم و الانسجام مع باقي العناصر .

+ تعددت أنواع المكان في الرواية فجاءت متنوعة الفضاءات وموزعة الدلالات فتظهر مرة مغلقة ومرة مفتوحة .

+معظم المعاجم القديمة تربط معنى المكان لغة بالموضع .

+تتميز الأماكن المغلقة بالانعزال على العالم الخارجي كلها توحي بالخوف والوحدة .

لقد كان للزمان والمكان حضورا فعالا في الرواية ، فالمكان كان يشكل الحلقة الكبرى في العملية السردية ، فهو من أبرز العناصر التي لا بد أن تكون في الرواية أما الزمان فراوي الأحداث استطاع أن يحوله الى مادة رتبة يشكلها بالشكل الذي يحب نقل ما بداخله هذا ما جعله ينجح في تحريك الزمن داخل النص الروائي و فق طريقة خاصة خدمت النص بدائيا.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع

المصادر :

1. القرآن الكريم، بروية ورش عن نافع ، الانسان ، الآية 1
2. جوهرة الرمال، أنا قبل كل شيء، دار الأدب العربي للنشر والتوزيع، السعودية ، الطبعة الرابعة،1437.

الكتب :

1. أحمد حمد النعيمي ، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الأولى،2004.
2. ادريس بودية، الرؤية والبنية في روايات الطاهر و طار، منشورات جامعة قسنطينة، الطبعة الأولى،2000.
3. الخليل ابن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، مراجعة الدكتور داود سليمان، لبنان بيروت ،الطبعة الأولى،2004.
4. الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ترجمة السيد امام، شارع قطر النيل، الطبعة الأولى،2003.

المراجع:

1. ابن منظور، لسان العرب، طبعة محققة، دار صادر بيروت، الطبعة الرابعة،2005.
2. باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم لحديث، اريد الأردن، الطبعة الأولى،2008.
3. حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية 2009.
4. حسن علام، العجائبي في الادب من منظور شعرية السرد، الدار العربية للعلوم، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، دون تاريخ.
5. حسن نجمي، شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 2004.
6. حفيظة أحمد بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية، الطبعة الأولى، 2007.

7. حميد الحمداني، بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر التوزيع، دار البيضاء، الطبعة الثالثة، 2000.

8. سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء بيروت الطبعة الثالثة، 1997.

9. شاكر النابسلي، جماليات المكان في الروايات العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت لبنان ، الطبعة الأولى، 1999.

10. الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، دراسة في رواية نجيب الكيلاني، عالم الكتب الحديثة، الطبعةالأولى، 2010 .

11. عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية،بحث في تقنيات السرد ، عالم المعرفة ، الكويت دون طبعة، 2010.

12. عمر عاشور، البنية السردية عند الطيب صالح، البنية الزمانية والمكانية في موسم الهجرة الى الشمال، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، دون طبعة، 2010.

13. محمد بوعزة، تحليل النص السردي، (تقنيات ومفاهيم)، دار الأمان، الجزائر، دون طبعة ،دون تاريخ.

14. محمد مكاوي، الشكل والخطاب، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، طبعة الأولى 1991.

15. مهدي العبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حمامية، منشورات الهيئة السورية للكتاب دمشق ، دون طبعة، دون تاريخ.

16. نبهان حسان السعدون، تشكيل المكان في الخطاب السردي، قراءات في السرديات العراقية المعاصرة ، دار غيداء للنشر، طبعة الأولى، 2015.

17. هيثم الحاج علي، الزمن النوعي وإشكالية النوع السردي، مؤسسة الانتشار العربي طبعة الأولى 2000.

الكتب المترجمة :

1 يوري لوتمان، مشكلة المكان الفني، ترجمة سيزا قاسم، مجلة البلاغة المقارنة، القاهرة، دون طبعة،1986.

قائمة المصادر والمراجع

المعاجم :

1. لطيف زيتوني، معجم المصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان بيروت، ط1، 2002 .
2. شوقي ضيف، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، د ت .

الفهرس

الفـــهرس

العنوان	الصفحة
شكر وعرفان	–
إهداء	–
الفـــــــصل الأول : ماهية الزمان و المكان	
ماهية الزمان	
1لغة	4
اصطلاحا	6
2أنواعه	9
3أهميته	17
ماهية المكان	
1لغة	19
اصطلاحا	20
2انواعه	27
3أهميته	31
4علاقة الزمان بالمكان	32
الفصل الثاني : دلالة الزمان و تجليات المكان في رواية (أنا قبل كل شيء)	
1التقنيات الزمنية في الرواية	36
أ الاسترجاعات	36
ب الاستباقات	45

2 تجليات المكان في الرواية	49
أ الأماكن المفتوحة	49
ب الأماكن المغلقة	56
ملـــــــــــــــــحق	
ملخص الرواية	67
نبذة عن الروائي	70
خاتمة	72
قائمة المصادر والمراجع	75
الفهرس	79